عَمَادَةُ الدِّراسات العُليا
جَامِعَةُ القُدْس

الحياةُ الفكريّة في عصر الخليفة النَّاصِر لدِين الله العبَّاسيّ (575هـ – 622هـ).

عَفَاف سَليم يُوسف ابو اهليل.

رسالَةِ المَاجِستير

القُدس– فِلسطين

1446هـ /2024م.

الحياةُ الفكريّة في عصر الخليفة النَّاصِر لدِين الله العبَّاسيّ

(575هـ - 622هـ).

إعداد:

عَفَاف سَليم يوسف ابو اهليل.

المشرف: أ. د: مَشْهُور عَبدُ الرّحمَن حَبَّازي.

قُدِّمَت هذه الرِّسالة؛ استكمالًا لمُتطلَّبات الحُصول على دَرجَة المَاجستير في اللُّغة العربيَّة وآدابهَا بكليَّة الدِّراسات العُليَا من جامعة القُدْس.

الفصلُ الدِّراسيّ الصيفي

1446هـ /2024م

عَمَادَةُ الدِّراسات العُليا

جَامِعَةُ القُدْس

إجازة الرِّسالة

الحياةُ الفكريَّة في عصر الخليفة النَّاصِر لدِينِ الله العبَّاسيّ

(575هـ – 622هـ).

اسم الطالب: عَفَاف سَليم يُوسف ابو اهليل

الرقم الجامعي: 21911851

المشرف: أ. د مَشْهُور عَبدُ الرّحمَن حَبَّازي

نوقشت هذه الرسالة وأجيزت بتاريخ 24 / 2024/7 من لجنة المناقشة المدرجة أسماؤهم وتواقيعهم:

1. رئيس لجنة المناقشة أ. د مَشهور حَبّازي التوقيع.
2. ممتحنًّا داخليًّا د. جَمَال غِيظَانْ التوقيع.
3. ممتحنًّا خارجيًّا د. عَبْد الْخَالِق عِيسَى التوقيع.

القُدس_ فِلسطين

1446هـ – 2024م

الإهداء

بسم الله والصّلاة والسّلام على أشرف خلق الله سيدنا محمدٍ، وعلى آله، وصحبه، وأزواجه، وذريته وأهل بيته ومَن والاه ومَن تبعه بإحسانٍ إلى يوم الدين، أما بعد:

فأُهدي دراستي وعملي المتواضع إلى الذين أناروا بدمائهم الطاهرة طريق الحرية والفداء؛ إلى شهداء الأمة الإسلامية.

وإلى الذين غادروا الدنيا ولكنهم لم ولن يغادروا قلبي وروحي إلى روح والدي، وروح والدتي، وأدعو الله لهم بالرحمة والمغفرة، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾، (الاسراء: 24)

وإلى رفيق دربي زوجي، الذي كان سندي بعد الله، تعالى، في طريق كفاحي ونجاحي.

وإلى فلذات كبدي إلى أجزاء قلبي الذين يمشون على الأرض أطفالي وقرة عيني حفظهم الله ورعاهم.

إلى إخوتي وأخواتي، وأبنائهم وبناتهم، وإلى كل عائلتي.

إلِي مشرفِي الفاضل الأستاذ الدكتور مَشهور حَبّازي.

إلِي كلِ من أعانني على إنجازِ هذهِ الدراسة.

إلِي كلِ هؤلاءِ أهدي هذا الجهد.

إقرار

أقر أنا معدة هذه الرسالة بأنها قُدمت لجامعة القدس؛ لنيل درجة الماجستير، وأنها نتيجة أبحاثي الخاصة، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة أو أي جزء منها، لم يقدم لنيل أي درجة عليا لأي جامعة، أو معهد آخر.

التوقيع:

الاسم: عَفَاف سَليم يوسف ابو اهليل

التاريخ: 24/ 7 / 2024

الشكر والتقدير:

قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾، (النمل: 19)

الحمد لله حتى يبلغ الحمد منتهاه، والصلاة على أشرف من أضاء بهديه أرض الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومَن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فما كان لعملي هذا أن يخرج إلى النور لولا رحمة ربي، ورفقه بي، فله الحمد كما ينبغي

لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وله الحمد حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، نستغفره ونتوب إليه،

ونشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله معلم البشرية الأول، صّلى الله عليه وآله وسلم. وبعد شكري لله الواهب أتقدم بالشكر والتقدير من جامعتنا الغراء جامعة القدس التي أعطت وما زالت تعطي فكانت صرحا شامخا للعلم، فالشكر للجامعة ولكلية الآداب عامة وقسم اللغة العربية خاصة، من محاضرين وأساتذة أفاضل وكذلك لمكتبة الجامعة والقائمين عليها. قال تعالى: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ ،(لقمان، 12)

إلى مَن أنار لي طريق البحث والاستقصاء، إلى من علمني من قطوف الأدب الداني، وحثني على الجد والاجتهاد، إلى الدكتور الجهبذ كريم الأصل رفيع القدر الفاضل الأستاذ الدكتور{ **مَشهور حَبّازي**} أتقدم بجزيل الشكر ووافر الامتنان، وإني واللهِ لأشعر بالفخر والاعتزاز الكبير كوني إحدى طلابه ومِمَّن تتلمذ على يديه، وأحمد الله أن وضعني على الطريق الصحيح في دراسة ماجستير اللغة العربية لغة الضاد وأهل الجنة، فنسأل الله أن أكون وإياكم من خيرتهم. ونسأل الله أن نكون على قدر المسؤولية والأمانة العلمية لحمل لواء تاريخنا الزاهر الزاخر رغم كل الظروف، وأن نكون وإياكم من عباده الصالحين ومن أهل جنته وخيرتهم.

جزى الله الجميع خير الجزاء.

ملخص الدراسة:

يتناول هذا البحث دراسة موضوع "الْحَياة الفِكريَّة في عَصرِ الخَليفَةِ النَّاصِرْ لِدينِ الله العَبَّاسِيّ (575هـ - 622هـ).

-إذ تعدُّ هذه الدراسة حلقة من حلقات البحث في تاريخ الآداب العربية، وتكشف النقاب عن حقبة ازدهرت فيها الحياة الفكرية في عصر الخليفة النَاصِر لِدينِ الله، الذي تولّى الحكم ما يقارب نصف قرن من الزمان، وهي مرحلة مهمة في تاريخ الخلافة العباسية في عصورها المتأخرة، وهو موضوع بالغ الأهمية إلّا أنّه لم يُدرس دراسة أكاديميّة معمقة؛ وجلّ الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع كانت من النّاحيتين التاريخية والسياسية فقط.

-وتنبع أهميّة الدراسة من كونها الأولى من الناحية الأكاديميّة التي درست صورة الخليفة النَّاصِر لِدينِ الله كما رآها الشعراء والكُتّاب.

-وقد اعتمدت في هذه الدراسة المنهج التكامليّ فأخذت من المنهج الوصفيّ والتاريخيّ والاستقرائي.

-وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول:

تناول الفَصلُ الأَوَّل: سيرةَ الخليفة النَّاصر لدِينِ الله العَبَّاسيّ.

وبحث الفَصْلُ الثَّاني: عَوامِلَ ازدِهَارِ الحَيَاةِ الفِكريَّة في عَهْدِ الخَليفة النَّاصر لدِين الله العَبَّاسِيّ.

وتناول الفَصْلُ الثَّالث: صُورةَ الخَليفةِ النَّاصِر لِدين الله في الأدب.

-وقد توصلت في هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها: استطاع الخليفة النَّاصِر لِدين الله بعلمه وسياسته أن يستعيد بعضًا من هيبة الخلافة العباسية، فبسط سلطته على أغلب الممالك والإمارات الإسلامية شرقًا وغربًا، وكان لاهتمامه بالعلم والأدب دورٌ مهمٌّ في ازدهار الحياة الفكرية في عصره، وانعكس ذلك في شعر الشعراء، وكتابة الكتاب والمؤرّخين فرسموا له صورة زاهيّة قوامها الإشادة بنسبه الشريف، وعلمه، وسياسته، وعدله، وإحيائه الفتوّة وغيرها من الأمور.

Intellectual life in the era of the Abbasid Caliph Al-Nasir li-Din Allah (575 AH - 622 AH)

Afaf AbuIhlaeil

Dr. Mashhour Habazi

Abstract

This research deals with the study of the topic “Intellectual life in the era of the Abbasid Caliph Al-Nasir li-Din Allah (575 AH - 622 AH).

1- This study is considered as an episode of research into the history of Arabic literature, and it unveils an era in which intellectual life flourished during the era of Caliph al-Nasir li-Din Allah, who ruled for nearly half a century, and it is an indispensable period in the history of the Abbasid Caliphate in its later eras. It is a very pivotal topic, but it has not been studied in-depth academically. Most previous studies that dealt with this topic were from a historical and political perspective only.

2-The significance of the study emanates from it being the first from an academic standpoint to study the image of Caliph Al-Nasser for the religion of God as seen by poets and writers.

3- In this study, I adopted the integrative approach, taking from the descriptive, historical, inductive and aesthetic approaches.

4-This study consists of an introduction and three chapters: Chapter One: Biography of the Abbasid Caliph Al-Nasir li-Din Allah. Chapter Two: Factors for the flourishing of intellectual and literary life during the era of the Abbasid Caliph al-Nasir li-Din Allah. Chapter Three: The image of Caliph Al-Nasser for the religion of God in literature.

5- In this study, I reached several results, the most important of which is: Through his knowledge and policy, Caliph Al-Nasir was able to regain some of the prestige of the Abbasid Caliphate, so he extended his authority over most of the Islamic kingdoms and emirates, east and west, alongside his interest in science and literature played an important role in the flourishing of cultural life in his era. This was reflected in the poetry of poets, and the writings of writers as well as historians, who painted a bright picture of him based on praising his honorable lineage, his knowledge, his politics, his justice, his revival of jurisprudence, and other matters.

المقدمة:

الحمد الله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين خير ناطق بلغة الضاد، صلّى الله عليه وعلى آله، وعلى أصحابه أجمعين، وبعد:

فقد جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على الحياة الفكرية في حقبة مهمة من العصر العباسي الأخير في بغداد، عصر الخليفة العبّاسي النَّاصِر لِدين الله، فقد وصلت في هذه الفترة الحياة الفكريّة إلى أفضل محطة لها وحملت في طياتها الكثير من الجمال الفني والأدبي الذي سنحاول جاهدين سبر أغواره محلقين في فضاء علومه حاملين نور الحكمة للبحث في أعماقه رافعين لواء اللغة العربية لحماية تراثه.

كان عصر الخليفة النّاصِر لِدين الله ذا أهمية خاصة نظرا لطبيعته السياسية والعسكرية، فتبنى النَّاصر لِدين الله سياسة النهوض والاستقلال بالخلافة وقد أعاد لها مجدها من القوة والنفوذ؛ فشهد عصره القضاء على التسلّط السلجوقي من جهة، وقيام الخوارزميّين من جهة أخرى كقوة جديدة استطاع الخليفة بحنكته اخضاعهم لسلطته، ومنع تدخلهم في بلاده، ومن محاسن سيرته ذكر ما تجدد في أيامه للبيت الأيوبي من الفتوحات والغزوات في الشام ومصر واليمن، وغيرها.

وشهد زمان حكم الخليفة النَّاصِر لِدين الله نهضة علمية وحضارية وقوة كبيرة للدولة، فقد قام الخليفة بإحياء الفتوّة، ونشرها في عصره وقَوّى دعائم الحكم، وعزّز سلطته؛ فقد كان يشرف على أمور الحكم بنفسه، وقرب منه العلماء والحكماء وأصحاب الخبرة والمشورة الصالحة ومن يطلعونه كل ما يدور في بلاده، فأحيا هيبة الخلافة، وكانت دولته دولة قوية في جميع مجالات الحياة، ومنها الحياة الفكرية التي نحن بصدد الحديث عنها وبيانها في دراستنا هذه، فقد نشطت في عصر الخليفة النَّاصِر لِدين الله الحركة العلمية وازدهرت الحياة العمرانية، حيث كثرت المدارس والربط فضلًا عن دور الكتب وخزائنها، والتأليف باختلاف موضوعاته، فنبغ عدد كبير من الشّعراء والكتّاب والأدباء والمؤرخين والمحدثين والفقهاء والفلاسفة والأطباء وأرباب الفنون والحرف، وكانوا يتنافسون على التقرب من الخليفة لينالوا رضاه ويغدق عليهم عطاياه.

أَسْبَابُ اختيارِ البَحث:

هناك جملة من الأسباب التي ساعدت في اختيار الموضوع لدراسة الحياة الفكريّة في تلك الحِقْبَة أَهمها:

1. خُلو المكتبات العربيَّة –فيما أعلم–من بحثٍ قائمٍ بذاته في هذا الموضُوع.

2. معرفة دور الخَليفَة النَّاصِر لِدين الله في تنشيط الحركة الفكريَّة في عصره، وازدهارها.

3.توضيح صورة الخَليفَة النَّاصِر لِدين الله كما رسمها الأدباء شعرًا ونثرًا.

أَهميَّةُ البَحث:

تنبع أهميّة هذه الدراسة من الآتي:

1. إسهامها في بيان الحياة الفكرية، والعمرانية في عصر الخليفة النَّاصِر لِدين الله العبَّاسيّ، ويحمل في طياته كثيرًا من الدلائل التاريخية، والاجتماعية السائدة في ذلك العصر؛ فتؤرّخ لتلك الحقبة من الزمن وما كان فيها من علماء وأدباء وشعراء، ورحالة وغيرهم.

2. تُبيّنُ دورَ الخليفة النَّاصِر لِدين الله في تشجيع الحركة الفكرية وترقيتها؛ لكي يكون شاهدًا على مكانةِ الأدب في عصره.

3. أهمية الحياة السياسية الّتي عاشَ فيها الخليفة النَّاصِر لِدين الله المتمثّلة في بدء اندحار الصلّيبيين، وتحرير صَلاح الدِّين الأيوبيّ بيت المَقْدس، وكيف أنَّ النَّاصِر لِدين الله عندما تولى الحكم أعاد هيبة الخلافة العباسية لتكون لها سلطة على الأرض، ونفوذٌ قويٌّ مع الحفاظ على شرعيتها وبسط سيطرتها على البلاد الإسلامية التابعة لها.

مَنهجُ البَحث:

سأعتمد المنهج التّكاملي في دراستي فأفيد من: المنهجَ الوصفيّ، والتَّاريخيّ، والاستقرائيّ.

الدِّراسَاتُ السَّابقَة:

بعد الاطلاع على ما كُتب حول موضُوع الحياةِ الفكريَّة في عَصْرِ الخليفة النَّاصر لدِين الله العبَّاسيّ، في العديد من المَكتبات والمَواقِع الإلكترونية، لم أجد مَنْ كتبَ عن هذا الموضُوع تحديدًا، ولكِن تمكّنت من الوصول إلى عدد من الدّراسات الّتي لها صلَة غير وثيقة بموضُوع الرِّسَالَة، وقد اهتمَّت بعصر الخليفة النَّاصر لدِين الله، ومن أهمِّ هذه الدِّراسات:

1. "الخليفة العباسيّ النَّاصِر لِدين الله العَبّاسيّ وسياسته من خلال المصادر التَّاريخية والدراسات الحديثة" (575-622هـ/1180-1225م)، للباحث: عَبد الله مَعيض مُحَمَّد العَجَمِيّ، وهي رسالة ماجستير في التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة آل البيت، الأُردُن، عام 2017م.

وقد وجدتُ فيها معلوماتٍ مهمَّةً عن الخليفة النَّاصِر لِدين الله، وتتميَّز هذه الرسالة كونها تختص بالفترة الزمنية نفسها لدراستي، وأنها أفادت دراستي بإعطاء معلومات مهمَّة عن الخليفة النَّاصر لدين الله وسياسته الداخليَّة والخارجيَّة، وفي إعطاء صورة عن عصر الخليفة من مظاهر عمرانية، وحضارية، من خلال دراستها لمجالات الحياة الاجتماعية، والاقتصادية.

2. "علاقة العلماء بالخلافة العبَّاسيّة في العصر العباسيّ الأخير"، (575-656هـ/1179-1258م)، للباحث مُحَمَّد عَبد الله أَحمَد المَولى، وهي رسالة ماجستير في التاريخ الاسلامي، كلية الآداب جامعة المُوصل، العِراق، 1423هـ-2003م.

وقد تحدَّث عن العلاقة بين العُلُماء والخلافة العَبَّاسِيَّة في العصر العباسيّ الأخير؛ وهي مهمه في بيان تأثير العلماء الواسع على الأصعدة السياسية، والإدارية، والفكرية، وقد اكتسبت هذه العلاقة أهمية خاصة في العصر العباسيّ الأخير.

وأفدت من هذه الدراسة في الفصل الثاني من دراستي لبيان موقف الخليفة النَّاصِر لِدين الله من أهل العلم والأدب، واهتمامه الكبير بهم، ومدى تأثير العلماء ودورهم في نهضة وازدهار الحياة الفكرية في عهد الخليفة النَّاصِر لِدين الله.

3. "إحياء الخلافة العبَّاسيَّة في الفترة من (530–622هـ/1135–1225م)"، للباحث مَعن عَليّ أَحمَد المَقابَلة، دَار اليَازُوري، عَمّانْ، ط1، 2012م.

جاءت هذه الدِّراسَة لتسليطِ الضَّوء على حِقبة مهمة من تاريخ الخلافة العَبَّاسيَّة، تمتدُّ من سنة (530–622هـ/1135–1225م)، وقد عاصر هذه الحقبة أربعة خلفاء عباسيين، آخرهم النَّاصِر لِدين الله العَباسيّ، ودار محور الدراسة حول محاولة هؤلاء الخلفاء التخلّص من النفوذ السُلجُوقِي، والاستقلال بمؤسسة الخلافة. وأفادتني الدراسة في توضيح دور النَّاصِر لِدين الله في إحياء الفتوّة في عصره ودوره في استقلال مؤسّسة الخِلافة.

ما تميَّزت به الرِّسالَة:

تتميَّز هذه الرِّسالَة عن الدِّراسات السَّابقَة في إظهار صورة الخَليفة النَّاصِر لِدين الله في الأدب، وذلك من خلال الوقوف على نماذج الأشعار التي صورته والكتابات النثرية التي وصفته، وقارنت بين صورته في الشعر والنثر، ودراسة عهد النَّاصِر لِدين الله من الناحية الأدبية كون الدراسات السابقة كانت دراسات تاريخية، وإظهار رقي وازدهار الحياة الفكرية في عهده.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة وثلاثة فصول:

تناول الفصل الأَول دراسة سيرة الخليفة النَّاصِر لِدين الله وذكر اسمِه ونسبه ومولده، ثم الحديث عن طبيعة نَشأَتِه وتوليه الخلافة ثم الكلام عن مذهبه وثقافته، ودراسة علاقة الخليفة مع الملوك والأمراء المُسْلمين والمُلُوكِ غير المُسْلمين، وما اتسمت به هذه العلاقة من ود أو عداوة. ثم الحديث عن آثاره العلميَّة، وأخيرا عن مرضه ووفاتِه.

وخُصِّصَّ الفصل الثاني لدراسة عَوامِلِ ازدِهَارِ الحَيَاةِ الفِكريَّة والأدبِيَّة في عَهْدِ الخَليفة النَّاصر لدِين الله العَبَّاسِيّ ودَورِ مؤسَّسة الخِلافَة في ذلك، ومَوقِفِ الخليفةِ النَّاصِر لدِينِ الله من أهل العِلْمِ والأَدَب، وأهم الأَعمال العمرانيَّة في خلافة النَّاصِر لدِينِ الله، والحديث عن سياساته الداخلية وخاصة تبنيه لنظام الفتوة في محاولة لإحياء الخلافة، وعَقْد الخَليفة النَّاصِر لدِين الله لمجَالِس العِلْم والأدب.

وتناول الفصل الثالث صُورةَ الخَليفةِ النّاصِر لِدين الله في الأدب؛ بشطريه صُورةَ الخَليفة في الشِّعْر، وصُورةَ الخَليفة في النَّثر، والمُقارَنَةُ بين الصُّورتَين ومواطن الشبه والاختلاف.

الخاتمة: عُرض فيها أبرز النتائج، التي وصلت إليها هذه الدراسة.

وأخيرا أسأل الله، تعالى، أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن ينفع به في الدنيا والآخرة، وأرجوه التوفيق والسّداد فيه، فإن أصبت فمن الله وحده، وإن أخطأت فمن نفسي، وما نحن إلا بشر نخطئ ونصيب.

الفَصلُ الأَوَّل: سيرة الخليفة النَّاصِر لدِينِ الله العَبَّاسيّ

المبحثُ الأوَّل: اسمُه ونسبه ومولده.

المبحثُ الثَّانِي: نَشأَتُه وَوِلايَتهُ لِلعَهد.

المبحثُ الثَّالِث: مذهبه وعقيدته.

المبحثُ الرَّابِع: ثقافته.

المبحثُ الخامِس: علاقاتُه مع الملوك والأمراء المُسْلمين.

المبحثُ السَّادس: علاقاتُه مع المُلُوكِ والأمراء غير المُسْلمين.

المبحثُ السّابع: آثاره العلميَّة

المبحثُ الثّامن: مرضه ووفاتُه.

الفَصْلُ الأَوَّل: سيرة الخليفة النَّاصِر لدِينِ الله العَبَّاسيّ.

كان النَّاصِر لدين الله الخليفة العباسيّ شخصيّة عظيمة معنية بشؤون الدين والدولة فقد استطاع أن يزيح التسلط الأجنبي ويعيد مجد الأمة وينهض بأعباء الخلافة في حقبة سادها الضعف والانهيار، وهو الخليفة الرابع والثّلاثون من خلفاء بني العباس، ولم يتولى الخلافة أحد أطول منه فقد حكم سبع وأربعين عامًا من 575–622هـ، أحيا خلالها هيبة الخلافة وأعاد إليها صحوتها ابان لتسلط الأجنبي.

المبحثُ الأَوَّل: اسمُه ونسبه ومولده.

اسمه ونسبه:

هو: أَحْمَد بِن الْحَسَن بِن يُوسفْ بِن مُحَمَّد، أَبو الْعَبّاسّ، النَّاصِر لِدين الله، أَمير المؤمنين[1].

ونسبه يتصّل بالعَبَّاسّ بِن عّبدِ المُطَّلِبْ عَمّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وكثيرًا ما مدحه الشُعراء بذلك، ومنه قول الشاعر ابنِ النَّطرُونِيّ[2]، قال[3]: (البحر البسيط)

خَيرُ الخَلائِفِ مِن آل النَبيّ إذا ... وَعَدوا وَأَطيَبُهُم ذِكرًا إِذا ذُكِروا

الوَاجِبِ الأَمرِ فِي نصِ الكِتابِ عَلى ... كُلِ البَرِيَةِ إِن غَابُوا وَإِن حَضَرُوا

وَالحَائِزِ الفَخرِ إِرثًا كُلَّما سُرِدَت ... حِسابَ أَحسابِها عَدنانُ أَو مُضرُ

---

[1] ينظر: عِماد الدّين الأصبهاني: الفتح القسي،1 /40؛ أبو الحسن الهَرَوي: الإشارات إلى معرفة الزيارات: 1/ 13؛ ابن واصِل: مفرج الكروب، 4/ 159؛ الذَّهَبي: سير أعلام النبلاء، 22/ 192؛ صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، 192/6؛ ابن تغري بردي: المنهل الصافي، 1/ 278؛ أبُو اليُمْن العُلَيمي: الأنس الجليل، 1/ 318–319.

[2] **ابن النطروني** هو: عبد المنعم بن عبد العزيز العبدري، أصله من الإسكندرية، قدم إلى بغداد وعاش فيها، مدح الخليفة الناصر لدين الله بعدة قصائد، وكان شاعرا مجيدا، وأديبا فاضلا، وشيخًا برباط العميد بالجانب الغربي من بغداد وتولى أوقافه، توفي سنة 603هـ، ينظر: ابن النجار: تاريخ بغداد وذيوله، 16/ 88–91.

[3] ينظر: ابن النجار: تاريخ بغداد وذيوله، 16/ 89–90.

مَولده وَوالِداه:

وُلد في شرقي بَغداد يوم الإثنَين العَاشِر مِن شَهر رَجَب سنة (553هـ)، زَمن جَدّ أَبيه الخَليفة المُقتَفي لِأَمرِ اللهِ العَبّاسيّ[1].

وَالِدُه، هُو الخَليفَة المُستَضيءُ بِالله الحَسَن أَبو مُحمَّد بن يُوسف المُستَنجِد بِالله أَبِي المُظَفَر، كَانَ رَحيمَا حَلِيما كَريمَا كَثيرَ العَفوِ وَالصَفحِ حَسَنَ السِيرة[2]، وَلِلْحِيص بِيص[3] فيه مدائح كثيرة، منها، قوله[4]: (البحر الخَفيف)

يا إِمامَ الهُدى عَلَوتَ عَن الجودِ ... بمالٍ منْ فِضَّةٍ أو نُضارِ

فَوهَبْتَ الأَعْمارَ والأَمْنَ والبُلْدانَ ... كُلًا في ساعةٍ منْ نَهارِ

فَبماذا يُثْنى عليكَ وَقَد جا ... وزتَ فضْلَ البِحارِ والأَمْطارِ

وَالِدَتُه، هي زُمُرد خَاتون[5]: وهي جَارية تُركية، اشتراها الخليفة الحَسَن المُستضيء، ثم أعتقها وتَزَوَجها، وكانت أَثِيرَة عنده لما رأى فيها من البِرِ والصلاح، لا سيما بعد أَن أَنجبت له ابنه أَحمد المكَنّى بأبي العباس[6]، توفيت في جمادى الأولى سنة(599هـ)، وحزن الخليفة لوفاتها حزنا شديدا[7].

---

[1] ينظر: ابن واصِل: مفرج الكروب، 2/ 89؛ ابن تغري بردي: مورد اللطافة، 1/ 226. **والمقتفي لأمر الله**، هو: محمد بن أحمد بن عبد الله ابن محمد، أبو عبد الله، ولقبه المقتفي لأمر الله، ولد 489هـ، تولى الخلافة سنة 530هـ إلى 555هـ، ينظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، 310/1.

[2] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 442/9.

[3] **الحِيص بِيص**، هو: سعد بن محَّمد بن سعد بن الصَيفي التَميمي: شاعر مشهور، من أهل بغداد. نشأ فقيها وغلب عليه الأدب والشعر. توفي574هـ، الذهبي: سير أعلام النبلاء، 62/21.

[4] الحيص بيص: ديوانه، 3/ 323.

[5] **زُمُرُدْ خَاتُونْ** هي: التركية الجهة المعظمة؛ كلمة تركية تعني عالية المقام، المصونة الكبرى، زوجة الخليفة المستضيء بالله، وعاشت في خلافة ابنها أربعا وعشرين سنة. وحجت، ووقفت المدارس والربط والجوامع، توفيت سنة (599هـ)، ودفنت في تربة معروف الكرخي، وحضر جنازتها الأكابر، وخرج الوزير نصير الدين بن مهدي ماشيا من داره إلى دار الخلافة، وصلى عليها ولدها الخليفة، ودام عزاؤها شهرا ورثاها كثير من الشعراء، ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، 42 /386.

وخاتون: مفرد خواتينُ: امرأة شريفة الأصل، عالية المقام، كان يُلقّب بها نساء سلاطين السلاجقة، ينظر: أحمد عمر: معجم اللغة العربية، 603/1.

[6] ينظر: مُصطفى جَواد: سيدات البلاط العباسي، ص174-175؛ أحلام النقيب: الخلافة العباسية عصر الخليفة الناصر لدين الله، ص20-21.

[7] ينظر: ابن الجوزي: مرآة الزمان، 22/ 128-129.

المبحثُ الثَّاني: نَشأَتُه وَوِلايَتهُ لِلعَهد.

نَشأَ النَّاصِر لدِين الله في قصر الخلافة ببغداد تحت كنف أبيه الخليفة المُسْتَضيء بأَمر الله، في بيت عزٍّ ونِعمَة وسُلطَة، كَأَمير عَباسي في كَنَفِ جَدِّه وَأَبِيه، وَفي رِعايَةِ أُمّه السَيدة زُمُرُد خاتُون.

حسبَ العُرف السائد في ولاية العهد كانت ولايةُ العَهد من نصيب الابن البِكر لِلخليفة وهو هاشِم أبو مَنصور. لكن زوجةَ الخليفة بَنَفَشا[1] التي كانت ذات مكانة وسلطة عند الخليفة حثَّت الخليفة على إعطاء ولاية العهد لابنه أَبي العباس، وقالت له مُحذِّرة:" الله الله أن تَعدِل عَن أَبي العباسّ"[2]. وعليه أَمرَ الخَليفة وزيرهُ صاحبَ المَخزن[3] ظَهيرُ الدِّين بن العَطّار[4] بأخذ البيعة الخاصة لأبي العَباس، فبايعه أخوه أبو مَنصور[5]، ومجدُ الدِّين ابنُ الصاحب أُستاذ الدار[6]، والقضاة والأشراف وبنو هاشِم، وَضياءُ الدِّين الشَّهْرزوري[7]، ورسولُ صلاحِ الدّين الأيوبي[8]. وعندما توفي والده الخليفة المُستضيء بأمر الله أُخذت له البيعة العامة يوم الأحد الثاني من ذي القعدة سنة (575هـ)، وكان عمره ثلاثًا وعشرين سنة[9].

---

[1] **بَنفَشَا** هي: زوج الخليفة المستضيء بأمر الله، كانت أحب سراريه إليه، وقفت مدرسة بباب الأزج وعمرت عدة مساجد وكانت كثيرة أفعال البر وهي التي أشارت على الخليفة أن يجعل ولي عهده ابنه الناصر لدين الله أحمد، وتوفيت سنة (598هـ)، ينظر: صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، 10/ 185.

[2] ينظر: ابن الجوزي: مرآة الزمان، 263/21-264.

[3] **صاحِب المخزن** هو: منصب مالي إداري استُحدِثَ في الدولة العباسية زمن سلطنة السلاجقة وهو امتداد لصاحب ديوان بيت المال، ويعيّن صاحبه من الخليفة في مراسم خاصة، ومن وظائفه المهمة الإشراف على مخزونات الدولة ومصروفاتها، ينظر: بدر الحربي: صاحب المخزن خلال العصر العباسي، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، ع (33,32)، ص76.

[4] **ابن العَطَّار** هو: منصور بن نصر الحرّاني البغدادي، أبو بكر (ت575هـ). كان وزيرًا وكاتبا لعدد من الخلفاء العباسيين، ثم تولى مسؤولية المخزن، وناب في مصر، قبض عليه الخليفة الناصر لدين الله سنة (575هـ) وسجنه فمات في سجنه. ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، 2/ 90.

[5] **أبو مَنصُور** هو: هاشم بن الحسن المستضيء بأمر الله، كان شابا دينا، توفي في شعبان سنة (578هـ) ودفن عند أبيه، ينظر: ابن الأثير: الكامل، 469/9.

[6] **الأستاذ دار** هو: لقب من يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه، وهو مركب من لفظتين فارسيتين: أستاذ ومعناها الأخذ، والثانية دار، ومعناها الممسك، ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، 5/ 429.

[7] **الشَّهْرزوردي** هو: القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم، ضياء الدين، أبو الفضائل، ولد سنة(534هـ)، تفقه في بغداد بالنظامية، ولي قضاء الشام بعد عمه مدَّه ثم ولي القضاء، وكان ذا شأن عند الخليفة الناصر لدين الله، لكنه خاف الفتن فاستعفي وذهب إلى الموصل. كان شاعرا كريما. توفي في شهر رجب سنة 599هـ، ينظر: ابن العِماد الحنبلي: شذرات الذهب، 6/ 556.

[8] ينظر: النويري: نهاية الأرب، 309/23.

[9] ينظر: الطيب بامَخرَمة: قلادة النحر، 5/ 105.

وهو الخليفة الرابع والثلاثون من خلفاء بني العباسّ. قال: "فجلس للمبايعة في القبة، فبدأ أخوه وبنو عمّه وأقاربه ثم دخل الأعيان"[1].

بعد ذلك جَرت احتفالات في بغداد، وأُرسلت الرُسل إلى الملوك والسلاطين ليأخذوا البيعة له ومنهم: صَلاح الدّين الأَيوبي سُلطان مِصر والشَّام والجَزيرة، وبَهلوان مُحمَّد ابن أَيلِدكِز [2] صاحب هَمَذان وغيرها[3]. "ووفدَ عَلى الخليفة عدد من الشعراء لتهنئته بها"[4]، ومنهم: سِبطُ ابن التَّعاويذِي[5]، قال من قصيدة مطلعها[6]: (الخفيف)

طافَ يَسعى بِها عَلى الجُلّاسِ كَقَضيبِ الأَراكَةِ المَيّاسِ

ومنها:

كَيفَ لا يَفضُلُ السَوادُ وَقَد أَضـ حى شِعارًا عَلى بَني العَبّاسِ

أُمَناءُ اللهِ الكِرامُ وَأَهلُ الجودِ وَالحِلمِ وَالتُقى وَالباسِ

وَلَقَد زينَتِ الخِلافَةُ مِنهُم بِإِمامِ الهُدى أَبي العَباسِ

مَلِكٌ جَلَّ قُدسُهُ عَن مِثالٍ وَتَعالَت آلاؤُهُ عَن قِياسِ.

دامت خلافةُ الخليفة النَّاصِر لدين الله ستًا وأربعينَ سنةً، وَعشرة أشهر وثمانية وعشرين يومًا. وبذلك يكون أكثر الخلفاء العَباسيين مكوثا في السلطة[7].

---

[1] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 40/ 36.

[2] **البَهلَوان هو**: مُحَمَّد بن إيلِدكِز، والبهلوان لقبه، (ت: 582هـ)، صاحب بلد الجبل وهمذان والري وأصفهان وأذربيجان وغيرها من البلاد، وكان عادلا، حسن السيرة، عاقلا، حليما، ذا سياسة حسنة، ينظر: ابن الأثير: الكامل، 17/10؛ ابن المستوفي: تاريخ إربل، 2 / 507.

[3] ينظر: المَلِك المَنْصُور: مضمار الحقائق، 1/ 5؛ ابن الأثير: الكامل، 17/10.

[4] المَلِك المَنْصُور: مضمار الحقائق، 1/ 11.

[5] **سبط ابن التعاويذي هو**: مُحَمَّد بْن عُبَيد اللَّهِ بْن عَبْد اللَّه أَبُو الفتح الكاتب، وهو شاعر مجيد حسن النظم لَهُ ديوان شعر، وهو حفيد الزَّاهِد أَبِي مُحَمَّد بْن التعاويذي وكان أَبُوهُ مَولَى لبني المظفر اسمه نشتكين، توفي سنة (584هـ)، ينظر: ابن الدبيثي: المختصر المحتاج إليه، 37/1.

[6] سبط بن التعاويذي: ديوانه، ص235-237.

[7] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 400/10.

وسياسته: سَاس الخليفة النَّاصِر لدين الله البلاد سياسة حكيمة قائمة على مخافة الله، سبحانه وتعالى، وتطبيق شرعه حتّى كان نقش خاتمه " رَجائِي مِنَ اللهِ عَفوه"[1]. فَتولى تسيير شؤون الدولة الإسلامية بنفسه، وسيطر على مجالات الحياة كُلِّها، وأشاع العدل بين النَاس، ومنع الخُمور، وكسر الملاهي، وأزال الضرائِب عن الشَعب، وأَحيا الفُتوّة[2]، ونشر عيونه في كل مكان لكي يتمكن من معرفة ما يجري في البلاد، ويشيع العدل بين النَاس، فخافَهُ العامة والخاصة حتى ظنَّ بعضهم أَنهُ يَعلَم المُغيَّبات[3].

وبناءً على هذه السياسة كثُرت الخيرات في الدولة العباسيّة، وعمرت المدن والقرى، ووفد الناس إلى بَغْداد فاتخذوها مسكنا وموطنا لهم، ووفدت عليه الشعراء يمدحونه ويسجلون أعماله ويذيعون صفاته، وفد على بَغْداد العلماء والفقهاء والشعراء والأطباء والمهندسون يطلبون قرب الخليفة ويقدّمون خدماتهم لِلدَولة وَمنهُم:

أبو عَلِيّ الواسِطِي[4]، وأبو رَشِيد الحَاسِب[5]، وابن أَبي أُصَيبِعَة[6]، وغيرهم الكثير.

وخضَعت لسلطة النَّاصِر لدِين الله الملوك والسلاطين في أنحاء الدولة العباسيّة، وتوقفت الفتن، قال: "دانت له السلاطين، ودخل تحت طاعته مَن كان من المخالفين، وذّلت له العتاة والطغاة، وانقَهرت بسيفه الجبابرة والبغاة، واندحض أضداده وأَعداؤه، وكثُر أَنصاره وأَولياؤه، وفتح

---

[1] الذهبي: سير أعلام النبلاء، 22 /192.

[2] **إحياء الفتوّة:** أحيا الخليفة الناصر لدين الله الفتوة العسكريّة ووضع لها التقاليد الخاصّة بها، وذلك عبر إقامتها في إطار مؤسساتيّ لها مراسيمها من اللّباس (سراويل الفتوة)، والشراب (كأس الفتوة)، وهو ماء وملح، وفنون الألعاب القتالية كَرمْي البندق، ولعب الحمام، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 261/6.

[3] ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، 45 / 87. الدميري: حياة الحيوان، 1 / 142.

[4] **أبو عَليّ الواسِطيّ** هو: الحسن بن محمد بن عبدوس ولقب بأبي عليّ، جاء من واسط إلى بغداد، كان أديبا شاعرا عالما بالنحو واللغة، فطنا متواضعا ومدح الخليفة الناصر لدين الله، وتوفي سنة 600هـ، ينظر: ابن الدمياطي: المستفاد من تاريخ بغداد، 21 / 74؛ الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 43 / 52.

[5] **أبو رَشيد الحَاسِب** هو: مُبشّر بن أحمد الرازي، لُقب بالبرهان، عالم موسوعي برع في العلوم الفلكية والرياضية والحساب وخواص الأعداد والهندسة، وكان سياسيًا ومعلمًا متميزًا، تميز فِي أيام الناصر لدين الله وقربه واعتمد عليه فِي اختيار الكتب الَّتِي وقفها بالرباط الخاتوني السلجوقي وبالمدرسة النظامية، توفي سنة 589هـ، ينظر: القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، 204/1.

[6] **ابن أبي أُصَيبِعَة** هو: أَحمد بن القاسم الخزرجيّ، الطبيب المؤرخ، صاحب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء). كان مقامه في دمشق، وفيها صنف كتابه سنة 643 هـ. ومن كتبه أيضا (التجاريب والفوائد) و (حكايات الأطباء في علاجات الأدواء) و (معالم الأمم) وله شعر كثير، توفي سنة 668هـ، ينظر: ابن أبي إصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المقدمة، ص1؛ الزركلي: الأعلام، 1/ 197.

البلاد العديدة، وملك من الممالك ما لم يملكه مَن تقدّمه من الخلفاء والملوك أحد، وخطب له ببلادِ الأَندَلُس وبِلاد الصين، وكان أسدَ بَني العَباس، تتصدع لهيبته الجبال، وَتذل لسطوته الأَقيال"[1].

زَوجَتُه: تزوج الخليفة النَّاصِر لدين الله مرة واحدة فقط.

تزوج الخليفة السيدة سَلجُوقِي خَاتون بنت قِليج أرسلان بْن مَسْعُود[2]، كانت ثيبًا، خطبها الخليفة من أخيها عندما مرَّت ببغداد سنة(581هـ) عائدة من الحج، فوافق أخوها، وأرسل الخليفة لإحضارها من بلدها يوسف بن أَحمَد شَيخ رِباطْ الأرجوانية[3]، فدخلت في عصمته وأحبّها، وأغدق عليها، وبنى لها الخليفة النَّاصِر لدين الله رباطًا وتربة عرفت بالخِلاطيّة[4] في الجانب الغربي من بَغداد. ولكنها توفيت قبل إتمام عمارتهما في ربيع الآخر سنة (584هـ)، فَحَزِنَ عَليها الخليفة كثيرًا، وعمل لها العزاء والختمات وحضر عزاءها الوزراءُ وأعيانُ الدولة والقضاة ومَن دونهم[5].

أولاد الخليفة: ذكرت المصادر أنه رُزِق وَلَدَين وبِنتًا وهم:

1- مُحَمَّدْ الظَّاهِر بِأَمْر الله أَبو نَصرْ

وُلِدَ في شهر محرّم سنة (571هـ)[6]، ونشأ في كنف والده، كان جميل الصورة أبيض اللون مشربا بحمرة، قوي البنية، حسن الصفات والخُلُق، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه النَّاصِر لدين الله سنة (622هـ)، وكان عمره (52) سنة إلا شهرًا[7]، فقيل له: "ألا تتفسح وتتنزه فقال قد فات الزرع فقيل له يبارك الله في عمرك، فقال مَن فتح دكانًا بعد العصر أيش يكسب"[8]، بويع له بالخلافة سنة (585هـ) ثمّ خلعه أبوه وقطع الخطبة له؛ وأعطى ولاية العهد لأخيه الأصغر علي لكنه مات في

---

[1] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام،45/ 89.

[2] **قِلِيجْ اَرسَلان بن مَسعُودْ** هو: ملك الروم كان فيه عدل وحسن سياسة وسداد رأي طالت أيامه توفي سنة 588هـ، وتقلد الحكم بعده ولده غياث الدين كيخسرو. ينظر: صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، 24/ 203.

[3] **الشِّيرَازِي هوَ** الْحَافِظ ابو يَعْقُوب يُوسُف بن احْمَد بن ابراهيم الشِّيرَازِيّ، الصوفى، مُفِيد بَغْدَاد وَشَيخ الصُّوفِيَّة برباط الارجواني ولد سنة (529 هـ)، ألفَ كتاب "الاربعين البلدية فِي الحَدِيث"، توفي سنة (585هـ)، ينظر: البابانى: هدية العارفين، 552/2.

[4] **الخِلاطيّة** هي: تربة أنشأها الناصر لدين الله لزوجته سلجوقي خاتون، ووقف فيها خزائن كتب نفيسة وكانت في الجانب الغربي على دجلة عند محلّة الجعيفر الحاليّة ببغداد، وقد أكلتها دجلة شيئا فشيئا مع الرباط فلم تُبق لها أثرا، ينظر: ابن الفوطي: مجمع الآداب في معجم الألقاب،1/ 176.

[5] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 41/ 179-180؛ ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص116.

[6] ينظر: السُّيُوطي: تاريخ الخلفاء، 324/1.

[7] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 401/10؛ القلقشندي: مآثر الإنافة، 74/2؛ الدِّيار بَكْري: تاريخ الخميس، 369/2.

[8] ابن الدَّواداري: كنز الدرر، 272/7-273؛ المَقْرِيزي: السلوك، 340/1-341؛ الدِّيار بَكْري: تاريخ الخميس، 369/2-370.

عهد أبيه سنة (613هـ)، فأعاد الناصر لدين الله البيعة لمُحمَّد الظّاهر، وقيل إنّه هو مَن تنازل عن ولاية العهد، وقَبِلَ ذلك والده[1]. ولكن خلافته لم تستمر طويلا فبعد تسعة أشهر وخمسة عشر يومًا عاجله القدر فتوفاه الله في رجب سنة (623هـ)[2].

2-عَلِي المَلِك المُعَظَم أَبو الحَسَن

لم يذكر العام الذي ولد به ولكنه أصغر من أخيه مُحَمَّد الظّاهِر، كان أبوه يحبه، حتّى إنه خلع أخاه، وجعله ولي العهد سنة 601هـ، ومات شابا في ذي القعدة، سنة 613هـ، وخلف ولدين صغيرين: الحُسين ويَحيى. فُجع النَّاصِر لِدين الله بموته وسمع الناس بكاءه وصراخه عليه، وأقام له مأتما عظيما في بَغْداد، وعملت له الملوك الأعزية في بلادهم، ورثاه الشُّعراء[3]. ومنهم الشاعر شَرَف الدّين الحِلّي[4]، قال يرثيه[5]: (البحر الكامل)

أَكَذا يَهدّ الدَهرُ أَطوادَ الهُدى وَيردّ بِالنَكَباتِ شَارِدَةَ الرَّدَى

أَكَذا تَعِيبُ النَيّراتُ وَيَنطَفِى مَا كَانَ مِن أَنوارِها مُتَوَقِّدا

يَا لِلرِجال لِنَكبَة نَبَوِبَة طَوَت العُلى قَلبا عَليها مُكَمَّدا

وورد أنه ولدت للخليفة النَّاصِر لِدين الله بنت من زوجته السّلجوقيّة لكنّها توفيت بعد ولادتها، ولم يتم تسميتها[6].

---

[1] ينظر: ابن الأثير، الكامل، 209/10؛ ابن واصِل: مفرج الكروب، 169/3.

[2] ينظر: ابن الجوزي: تلقيح فهوم أهل الأثر، 68/1؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، 637/13.

[3] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 44/ 115-116.

[4] **شَرَف الدين الحِلّي هو**: راجح بن إسماعيل الأسدي الحلي، أبو الوفاء، شاعر، من أهل الحلة، زار بغداد واتصل بولاتها. مدح جماعة من الملوك وغيرهم بمصر والشام والجزيرة، وكان له مكانة عند الأيوبيين في دمشق، فاستقر فيها إلى أن توفي سنة (627هـ)، ينظر: عفيف عبد الرحمن: معجم الشعراء العباسيين، ص180؛ الزركلي: الأعلام، 10/3.

[5] ينظر: ابن واصِل: مفرج الكروب، 3/ 229-232.

[6] ينظر: أحلام النقيب: الخلافة العباسية عصر الخليفة الناصر الدين الله، ص32.

المبحثُ الثَّالث: مذهبه وعقيدته.

تضاربت الروايات التاريخية حول مذهب النَّاصِر لِدين الله وعقيدته، "كان النَّاصِر لِدين الله يتشيع ويميل إلى مذهب الإمامية، وهم فرقة من الشّيعة، وهو خلاف ما كان عليه آباؤه من القادِر إلى المُستَضِيء؛ فإنهم كانوا يذهبون مذهب السلف"[1]، ويذكر أن من المؤشرات على تشيع النَّاصِر لِدين الله أن الشّيعة يعدونه من أعلام المائة السابعة للشيعة، وأن المذهب الشّيعيّ في عهده طفق ظهورًا وانتشارًا في بغداد من جديد بعد الاضطهادات التي لاقوها بعد زوال آل بُويه[2]، ويقول ابن الطَّقْطَقِي: "كان من أفاضل الخلفاء، يفاوض العلماء، وكان يرى رأي الإماميّة"[3]، وقال: "وظهر التشيع بسبب ابن الصَّاحِبْ، ثم انطفأ بهلاكه، وظهر التسنن المفرط ثم زال"[4].

والحقيقة أن الخليفة النَّاصِر لِدين الله كان محبا لعَليّ بن أَبي طَالِب رضي الله عنه ولأولاده، يميل إليهم لكنّه لم يكن شِيعيًّا ولا على أي فرقة من فرقهم. ومما جاء في شعره في مدحهم وتقديمهم وتفضيلهم:

قال: (البحر الرجز)

لا بلّغَتني هِمَتي مَطالِبي — وَلا سَطَت فِي مَعرك قَواضِبي

وَلا عَلَت نَاري لأهدى طَارِقا — وَلا غَدت مَجنوبَةَ جَنائِبي

إن لَم أَعدها ضمّرا سَواريا — لأَخذِ تار المَلكِ الحَباحِب

البَاقرينَ أَحمَد بن حَيدر — سُلالَة الأَبرارِ آل طَالِب

وَأصطليها فِي وَلائِه جَماجِما — مُضرمَةَ فِي قِمَمِ النَواصِب

حَتى يَعودَ البِيضُ فِي ضِيائِها — مِن هامِهِم مَغلولَةَ المَضارِبِ

---

[1] ابن واصل: مفرج الكروب، 166/4.

[2] **آل بُويه، هم:** سُلالةٌ من الديالمة الشيعة، الذين أقاموا دولتهم في ظل الدولة العبَّاسيَّة وسموها الدولة البويهية أو دولة بني بويه. فهيمنوا على الخِلافة قُرابة مائةٍ وعشرين سنة (334 – 454هـ \ 934م – 1062م)، ينظر: محمد طقوش: تاريخ الدولة العباسية، ص220–223.

[3] ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، 308/1.

[4] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 84/45–85.

وَأستَمد مِن قوى عَزمِه ما يَجعَل الآساد كَالثَّعالِبِ

حَتى يَقولَ الناسُ إِنَّ أَحمد قَد أَتى بِالفَتحِ وَالنَصرِ لآلِ طَالِبِ

وكان الخليفة النَّاصِر لِدين الله جميل الجواب لطيفه؛ جاءته رسالة من القاضي كَمال الدِّين ابن الشَّهرَزُوري كتب في: "أولها المملوك مُحَمَّد بن عَبدِ الله الرسول"، فكتب النَّاصِر لِدين الله تحتها "صلى الله عليه وسلم"[1].

أما رد النَّاصِر لِدين الله على من زعم تشيعه بالباطل، فجاء في شعره،

يقول[2]: (البحر الخفيف).

زَعَموا أَنَني أُحِبُّ عَليًا صَدَقُوا كُلهم لَديّ عَليّ

كُلّ مَن صَاحَبَ النَبِيّ وَلو طرفَةَ عَينٍ فَحَقّه مَرعيّ

فَلَقد قَلّ عَقل كُلّ غَبيٍّ هُوَ مِن شِيعَةِ النَبيّ بَريّ

ويُذكر أن النَّاصِر لِدين الله في فترة من خلافته همَّ بترك الخلافة، والتفرغ للعبادة والتصوف، وبنى رباط المَرزّبانِيّة للفقراء، وسكن جانب الرباط في دار كان يتردد عليها، وقرب منه الصُّوفِيّة، وعَمِلَ له ثيابًا كثيرة بزي الصّوفِيّة، ولكنه ترك ذلك ورجع لحمل أعباء الخلافة[3].

والحقيقة في ذلك كله أن الناصر لدين الله حرص على التقرب من فئات شعبه جميعها في بغداد فساوى بين السُّنَّة والشِّيعَة فكان ذلك من أهم مقومات الوحدة والنهوض بالخلافة في وقته، ومرَّ عصر الخليفة بثلاث مراحل؛ أما المرحلة الأولى فقد كانت في محاولة للتقرب من الشيعة وقعت من سنة (575–583هـ)، أما المرحلة الثانية ففي التقرب من السنة ووقعت في الفترة الزمنية: (583–590هـ)، والفترة الثالثة أظهر الفتوّة ما بين (590–622هـ)، فكان النَّاصِر لِدين الله العباسيّ يسعى إلى التأليف بين السنة والشيعة لدعم التماسك الداخلي وإحياء هيبة الخلافة العباسية لتكون درعا واقيا في وجه الأعداء الطامعين من أمراء الأطراف وغيرهم[4].

---

[1] ينظر: ابن واصِل: مفرج الكروب، 169/4.

[2] ابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، 68/1.

[3] ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، 92/45.

[4] ينظر: عبد الله العجمي: الناصر لدين الله العباسي وسياسته، ص34.

المبحثُ الرابع: ثَقافَته.

كان خلفاء بني العباسّ يُعِدُّون أولادهم لتحمل مسؤولية الحكم والخلافة في مستقبلهم فكانت هذه عادتهم التي بقيت حتّى نهاية العصر العباسيّ، فقد عني الخليفة المُسْتَضيء بأمر الله بتعليم أولاده وتدريبهم، فتلقى النَّاصِر لدين الله تعليمه وتدريبه وتثقيفه من صغره؛ وكان النَّاصِر لِدين الله مولعًا بالصيد برًا وبحرًا وكان فارسًا في ركوب الخيل والرماية، شهمًا شجاعًا، "وفى أيام النَّاصِر لِدين الله ظهرت الفتوة بِبَغْداد ورمي البندق[1] ولعب الحمام"[2].

شُيوخ الخليفة النَّاصِر لِدين الله: ومن مشايخ الخليفة النَّاصِر لِدين الله الذين أجازوا له: أبو الحُسَين عَبد الحَق اليُوسُفِي[3]، وأبو الحَسَنْ عَليّ بن عَساكِر البَطائِحِي[4]، اللذانِ تعلم منهم حفظ كتاب الله، ورواية الحديث الشَّريف، والإسناد، والفقه في الدين، وعلوم العربية.

قال: "وأجاز له: أبو الحُسَين اليُوسُفي، وعَلِيّ بن عَساكِر البَطائِحِي، وشهدة الكاتبة، وطائفة.

وقد أجاز لجماعة من الأئمة والكبراء، فكانوا يحدثون عنه في أيامه، ويتنافسون في ذلك"[5].

---

[1][1] ظهرت لعبة رمي البندق في العصر العباسي، وبالغ الخلفاء العباسيون بالاهتمام بها، وتولوا رعايتها بأنفسهم، فكان للخليفة هَارُون الرَّشِيد (170هـ/ 193 هـ) فرقة ترمي البندق يقال لها " النمل " تسير بين يديه، وترمي البندق على من يقف في طريق موكب، ينظر: كامل طه: لعبة رمي البندق في العصر العباسي، مجلة التربية الرياضية، مج11، ع 3، 27–38.

[2] ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 6 /261. ورمي البندق نوع من الألعاب الرياضية، أما لعب الحمام فقد كانوا يربون الحمام ويتفاخرون بأنواعه وأنسابه ولكل طير ثمن خاص.

[3] **أبو الحُسَين اليُوسُفِي**، هو: عبد الحق بن عبد الخالق بن أحمد اليوسفي، البغدادي، كان شيخًا صالحًا، وعالمًا سند ثقة، وكان حافظًا لكتاب الله، وكان من مشايخ الخليفة الناصر لدين الله الذين أجازوا له، توفي سنة (575هـ)، ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 552/20.

[4] **وأبو الحَسَن البَطائِحِي**، هو: علي بن عساكر بن المرحب البطائحي، الضرير، الإمام، مقرئ العراق، وكان عالما بالعربية، إماما في السنة، وكان من مشايخ الخليفة الناصر لدين الله الذين أجازوا له، توفي سنة (572هـ).

[5] الذهبي: سير أعلام النبلاء، 22/ 193.

ومؤلفاته وشيوعها: وكان له إجازة في رواية الحديث، قال: "وفي وسط ولايته اشتغل برواية الحديث، واستناب نوابًا في الإجازة عنه والتسميع، وأجرى عليهم جرايات، وكتب للملوك والعلماء إجازات، وفي سنة (612هـ) جمع كتابًا سماه روح العارفين"[1].

وانتشر كتابه روح العارفين في أرض الإسلام فحمله شِهابُ الدِّين السُّهْرَوَرْدي[2] إلى حَلَبْ ومِصر، وقرئ على مسامع المَلِكُ الظَّاهِر[3] وجماهير الدولة.

وتَلاميذُه: ومِمّن حدثوا عنه وأجاز لهم النَّاصِر لِدين الله جماعة من الأعيان: القاضي شِهاب الدّين الزَنْجانِي، وأبو أَحمَد ابن سَكينَة، وأبو محمد ابن الأَخْضَر، وقاضي القضاة أبو القَاسِم ابن الدامْغانِي، وابن الخليفة الظَّاهر بأمر الله، والملك العادل أبو بَكِر مُحمَّد بن أَيوب، وبنوه المُعَظّم والكامِل والأَشْرَف. وروى ابن النَّجار عن الخَليفة النَّاصِر لِدين الله حديثا بالإجازة منه بخط يد الخليفة في كلّ من: الحرمين، وبيت المَقدس، وبَغداد، وحَلب، ودِمَشق، ونَيسابور، وهَمَذان، وأَصبَهان، ومَروّ[4].

وأدبه: وكان النَّاصِر لِدين الله محبًا للعلم والأدب، مطّلعًا على علوم عصره ومؤلفاته، قديرًا على النظم والكتابة، له التوقيعات المُسَددة؛ كتب إليه سَعد الدِّين بن شَبِيب صاحب المخزن، يذكر حال مَجد الدِّين ابن الصَّاحِب، وقال: إنه صبي جاهل بالأمور لقلّة خبرته، والدول تحتاج إلى الشيخ الحذق، فرد النَّاصِر عليه[5]: (البحر المديد)

كَم بِذي الدَوح أَثِلة مِن قَضيب.

---

[1] المَقْرِيزي: السلوك 1 /301؛ السُيُوطي: تاريخ الخلفاء، 1 /319-320.

[2] **شهاب الدين السُّهْرَوَرْدي**، هو: عمر بن محمد بن عبد الله بن عمّويه السهروردي إمام وقته، ولد في سنة (539هـ)، جاء بغداد ووعظ الناس وكان مقدما عند الخليفة الناصر لدين الله حتى جعله مقدّما على شيوخ بغداد وأرسله في الرسائل المعظمة وصنّف كتابا سماه (عوارف المعارف) وغيره، وتوفي سنة (632هـ)، ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 374/22؛ الزركلي: الأعلام، 5/ 62.

[3] **المَلِكُ الظَّاهِر** هو: غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، غياث الدين، ولقبه أبو منصور، سلطان حلب، توفي سنة(613هـ)، ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 12/ 297.

[4] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 45 /87-88.

[5] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 303/24.

وهذا جواب بديع، أي أن الإنسان لا تقاس خبرته وحنكته بصغر سنه. فكم في بيت الشَّعر الكبير من متاع مصنوع من غصن مقطوع أو عصا صغيرة، وكذلك الشباب الصغار جزء مهم لقيام الدول الكبيرة.

كان النَّاصِر لِدين الله ذا توقيعات حسنة صدر منه توقيع إلى جَلال الدِّين ابن يُونس الوزير، قال: "لا ينبغي لأرباب هذا المقام أن يقدموا على أمر لم ينظروا في عاقبته، فإن النّظر قبل الإقدام خير من الندم بعد الفوات، ولا يؤخذ البرآء بقول الأعداء، فلكل ناصح كاشح، ولا يطالب بالأموال مَن لم يخن في الأعمال، فإن المصادرة مكافأة للظّالمين، وليكن العفاف والتقى رقيبين عليك"[1].

وكان فَطِنًا إلى الغاية، حسن الجواب بليغًا؛ فورد أن خادمًا للنَّاصِر لِدين الله اسمه يَمُن بعث له بورقة فيها عتاب فوقع فيها: "بِمَن يَمُنُّ يُمْن، ثمنُ يُمنٍ ثمن "[2].

وهذا جواب عجيب اشتمل السجع والجناس من المحسنات البديعية؛ ومعناه: أنه يسأل الخادم المسمى (يَمُن)، من الذي تتوسم فيه البركة والخير يا يَمُن، وأنه سيعطيه ثمن مجزي عوضًا له يأخذه عن التراضي.

وكان النَّاصِر لِدين الله أديبا فاضِلًا شاعرًا. ذكر أنه اعتقل بعض كتّابه فكتب إليه يقول[3]: (الخفيف)

أَلقِنِي فِي لَظى وَإن غَيَرتنِي ... فَتَيَقّن أَن لَستُ بِاليَاقوت

عَرَفَ النَسجُ كُلَّ مَن حَاكَ لَكِن ... نَسجُ داودَ لَيسَ كَالعَنكَبوت

---

[1] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 45 /89.

[2] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 45 / 90.

[3] ابن واصِل: مفرج الكروب، 4 /168.

قال، فأجابه الخليفة يقول: (البحر الخفيف).

نَسجُ داودَ لَم يُفِد صَاحِبَ الغَا رِ وَكانَ الفخارُ لِلعَنكَبوت

وَبقاء السَمَند[1] فِي لَهَبِ النَا رِ مُزيلُ فَضيلَةِ الياقوت

وهذا جواب متفوق، وشعر مفلق[2]. يدل على أن النَّاصِر كان شاعرًا مبدعًا سباقًا إلى المعاني، عالمًا بعلوم اللغة العربية.

الرّياضَة:

اهتم الخليفة النَّاصِر لِدين الله بالألعاب الرياضية كثيرًا مثل: رمي البندق وبرع فيه، وكان النَّاصِر لِدين الله صيادًا ماهرًا برًا وبحرًا، "وكان مولعًا بالصيد، حيث كثيرًا ما كان يُرى راكبًا زورقًا في نهر دجلة يصيد، وفي أحيان أخرى يتصيد في البَريّة"[3]، وكان فارسًا مقدامًا في ركوب الخيل، شهمًا شجاعًا، "وفي أيام النَّاصِر لِدين الله ظهرت الفُتوّة ببغداد ورمي البندق ولعب الحمام"[4].

وفي الخلاصة لما سبق: نلحظ أنَّ النَّاصِر لِدين الله كان يملك عقلية فذة، فقد كان عالمًا وشاعرًا ومؤلفًا، وكان راويا للحديث الشريف، وهذا رفد ثقافة كبيرة وعلم واسع، عدا حبه لأنواع الرياضات ففي الجسم السليم يكمن العقل القويم. فتميز الخليفة النَّاصِر لِدين الله بالحذق وجودة النّظَر والقدرة على دقة التصرف في الأمور. وبذلك كله قَدِرَ على حمل أعباء الخلافة وتقوية دعائم ملكه، فقد كانت إنجازاته باهرة وعظيمة مدّة حكمه.

---

[1] **السَّمَند أو السَّمَندَل:** حيوان أصغر من الثعلب ينسج من وبره مناديل إذا اتسخت ألقيت في النار فلا تحترق، ويروى أن السمندل طائر ببلاد الهند، ويعمل من ريشه مناديل تحمل إلى بلاد الشام، الدميرى: حياة الحيوان، 2/ 45-46.

[2] ينظر: ابن الدَّوَاداري: كنز الدرر، أخبار ملوك بني أيوب،7 /272.

[3] أحلام النقيب: عصر الخليفة الناصر لدين الله، ص29.

[4] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 6 /261.

المبحثُ الخَامس: علاقاتُه مع الملوك والأمراء المُسْلمين.

لم تكن سلطة الخليفة العباسيّ محكمةً إلّا على بغداد والمنطقة المجاورة؛ إذ كانت المنطقة الشمالية من العراق واقعة تحت حكم أَتابِكَة المُوصِل، وباقي العراق الغربي تحت حكم السَّلاجِقَة، وخضعت مصر وأجزاء كبيرة من الشام وفلسطين لحكم الأيوبيين وبعدهم الأتراك، أما المشرق فكانت تحت سيطرة دول الأَتابِكَة، والغُور [1]، والخَوارِزمِيّة، فكانت سلطة الخليفة رمزًا روحيًا محدودًا، لا يتدخل في أمر إلا إذا طُلب منه ذلك للتصديق على ما يطلب منه فقط[2].

ولكن النَّاصِر لِدين الله عندما تولى الحكم غَيَّر كل ذلك وأعاد هيبة الخلافة العباسيّة لتكون سلطة على الأرض ونفوذًا قويًا مع الحفاظ على شرعيتها وبسط سيطرتها على البلاد الإسلامية التابعة لها.

قال ابن النَّجار:" دانت للنَّاصِر السلاطين، ودخل تحت طاعته المخالفون، وذلت له العتاة، وانقهرت بسيفه البغاة، واندحض أضداده، وفتح البلاد العديدة، وملك ما لم يملكه غيره، وخُطب له بالأَندَلُس وبِالصِّين، وكان أسد بني العباسّ تتصدع لهيبته الجبال، وتَذِل لسطوته الأَقيال"[3].

أولًا: علاقته مع السَّلاجِقَة[4]:

ويعتبر عصر النَّاصِر لِدين الله (575-622هـ) عصر استقلال الخلافة العباسيّة عن السّلاجقة؛ فقد امتدت خلافته سبعًا وأربعين سنة تقريبا، تمكن خلالها من التخلص من سلاجقة العراق، بما اتخذه من إجراءات عسكرية وخطوات سياسية أنهى بها التسلط السلجوقي وبلغت الخلافة العباسيّة في عهده قمة مجدها، حيث أصبحت في حل من أي ارتباط مع السَلاجقة وباتت

---

[1] **دولة الغُور**: ظهرت هذه الدولة في منطقة جبال الغور حول مدينة فيروز كره؛ (مدينة تقع في إيران حاليا)، ويرتبط تاريخها الحقيقي بالأخوين غياث الدين (ت599هـ) وشهاب الدين (602هـ)، أولاد بهاء الدين سام (543هـ) الذين تولوا السلطنة سنة (558هـ) بعد وفاة ابن عمهما سيف الدين محمد بن الحسين، ينظر: ابن الأثير: الكامل: 82/9.

[2] ينظر: (مجموعة من المؤلفين): الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي،4 /1.

[3] الذهبي: تاريخ الإسلام، 89/45.

[4] **السَّلاجِقَة**، هم: من عشائر الغز الأتراك، وينسبون لجدهم سلجوق بن دقاق. عند زوال الدولة السامانية عام 390هـ، تقاسم السلاجقة البلاد الواسعة التي بحوزتهم، وانتخب طغرل بك ملكًا عليهم، فحكم مرو ونيسابور وجرجان وطبرستان وما حولها من الأقاليم، وأعلن قيام دولتهم سنة 432هـ، ثم دخل طغرل بغداد وقبض على آخر سلاطين بني بويه الملك الرحيم، وبذلك انقضت دولة بني بويه وبرزت دولة السلاجقة في بغداد سنة 448هـ، ينظر: أحمد العسيري: موجز التاريخ الإسلامي، 1 /238-239.

تتمتع باستقلال تام، حيث أمر الخليفة الناصر لدين الله بهدم دار السلطنة ببغداد التي كانت تعتبر رمز الهيمنة السّلجوقيّة[1].

علاقة الخليفة النَّاصِر لِدين الله بالسلطان طِغْرِل السّلجوقِي[2] (ت 583هـ):

" أرسل طِغرِل السّلجوقِي بعدما قوي أمره، واستطاع أن يجمع حوله قوة كبيرة إلى بَغداد يريد عمارة دار السلطنة، فرد الخليفة رسوله، وأمر بهدمها إلى الأرض فَعُفي أثرها، وجاء رسول مُظفرِ الدِّين قَزِل أَرسَلان بِن أَيلِدكِز سلطان هَمذان وأَذربيجان والريّ وَأَصفَهان، يستعين بالخليفة ويستنجده على طِغرِل الذي تمرد عليه، ويحذره منه، فاستجاب الخليفة لرسوله وجهز له جيشًا كبيرًا سنة 584هـ، كان المقدم عليه الوزير جَلال الدّين عُبيد الله بن يُونس وسيرهم لمساعدة قَزِلْ أَرْسَلان وكانوا على موعد مع أَتابِك مُظفَر الدّين قَزِل أَرسَلان أن يجتمع بهم لكنه تأخر عنهم، فمضوا للقتال من دونه، فالتقوا واقتتلوا مما أدى إلى هزيمة جيش الخليفة وأسر جلال الدين أبي المُظفر، وأخذ ما معه من سلاح ودواب وغير ذلك فعاد العسكر إلى بَغداد متفرقين"[3].

ولأنَّ الخليفة النَّاصر لدين الله كان مصمما على استعادة هيبة الخلافة والسيطرة على أرض مملكته لم يسمح للسّلاجقة بالتحكم في أرض دولته، واستعان بِخَوارِزْم شَاه للقضاء على طِغرِل السّلجوقي والتخلص منه في محاولة لمنع تقدمه وتدخله في خلافة النَّاصِر لِدين الله العَباسيّ، فتحالف عَلاء الدّين تَكِشْ مع الخليفة بعد أن وعده الخليفة بإقطاعه كافة الأراضي التي سيستولي عليها من طِغرِل والعراق العجمي، فوافق عَلاء الدِّين وعدَّ هذا الطلب بمثابة الاعتراف بهم وشرعيةً لهم، وسار على الفور والتقى طِغْرِل الثالث في الرّي سنة 590هـ[4].

فَقُتِلَ السلطان طِغرِل السّلجوقي، ومَلك مكانه خَوارِزم شَاه عَلاء الدّين تَكِشْ البلاد. وبذلك انتهت دولة السّلاجقة، وحلت مكانها الدولة الخوارزميّة[5].

---

[1] ينظر: أحلام النقيب: عصر الخليفة الناصر لدين الله، ص 185.

[2] **طِغرِل السّلجوقي**، هو: آخر ملوك السلاجقة، ملك بلاد أذربيجان وهمذان وغيرهما، طلب السلطنة من الخليفة فرفض الخليفة وبعث إليه جيشا فكسره طِغرل، ثم سار إليه خوارزم شاه فقتله وبعث برأسه إلى الخليفة في بغداد. وذلك سنة 590 هـ.، ينظر: مُغَلْطاي بن قَلِيج: الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا، 1 /555.

[3] النويري: نهاية الأرب، 23 /310-311

[4] ينظر: عبد الله العجمي: الخليفة العباسي الناصر لدين الله وسياسته، ص54.

[5] ينظر: النويري: نهاية الأرب، 23 /312.

ثانيًا: علاقته مع الأَتَابِكَة[1]:

قامت نزاعات دموية مؤسفة في كثير من الأحيان، بين أفراد الأسرة السّلجوقية التي حكمت البلاد فعليا في ظل الخلافة العبّاسيّة الشكلية، وشهد أواخر القرن الخامس الهجري ومطلع القرن السادس ضعف الدولة السّلجوقيّة السّنّيّة، وكان هذا الضعف سببًا في حدوث الحروب الصّليبيّة، فانقسمت الدولة السّلجوقيّة إلى دويلات الأَتابِكَة التي حكمت البلاد بعد ذلك. وأصل الأَتابِك[2] كانوا قوادا وأمراء للسلاطين السَلاجِقَة، تولوا بعض الأقاليم التابعة للدولة السلجوقيّة، ثم استقلوا بحكم تلك الأقاليم إثر ضعف الدولة. وكانت نهاية دولة الأَتابِكَة[3] بمحاصرة هُولَاكُو للمَوصِل عام (660هـ)[4].

"كانت للنَّاصِر لِدين الله حيل لطيفة ومكائد غامضة وخدع لا يفطن لها أحد، يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون، ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون"[5].

---

[1] **الأَتابِكَة:** من الترك، كانوا يأتون بهم من بلاد القبجاق شمالي البحر الأسود. اعتمد عليهم السلاجقة في الجيش والقصور، حتى أصبحوا أوصياء على أبناء السلاطين. وعندما ضعفت دولة السلاجقة أسسوا لهم دولًا في عدة مدن. حلت الدولة الأيوبية محل الأتابكة، بعد أن قضى عليهم صلاح الدين الأيوبي، ووحد مصر بالشام سنة 579هـ، ينظر: الطرسوسي: تحفة الترك، 1 /74.

[2] **أَتابِك:** لفظ تركي معناه الوصي وهو مركب من كلمتين " أتا " معناها المربي، وبك ومعناه: الأمير المربي، وهو لقب تركي أطلقه السلاجقة على بعض رجال البلاط والوزراء والقادة، وقد تمكن بعضهم من السيطرة وإنشاء دول كدولة زنكي في الموصل. وقد امتد حكم أسرة الأتابكة إلى الجزيرة والشام، بدءا من عماد الدين زنكي إلى بدر الدين لؤلؤ، ينظر: ابن الطقطقي: الفخري في الآداب السلطانية، 74/1.

[3] سار صاحب الموصل الصالح إسماعيل بن لؤلؤ آخر ملوك الأتابكة إلى الخليفة المستنصر ببغداد، في شهر شعبان سنة 660هـ، فلما حصلت الحرب رجع إلى بلاده، فأرسل هولاكو نحو عشرة آلاف جندي بقيادة صندغون خلفه فحاصروا الموصل، فأرسل الملك إسماعيل إلى التركي يستنجده فقدم ومعه 700 مقاتل فَهُزمت التَّتَار ثم ثبتوا والتقوا معه فهزموه وجرحوه، ورجع التتار إلى الموصل وبقوا حتى استنزلوه وقادوه وولده علاء الدين معهم إلى هولاكو ولكنهم قتلوه في الطريق، وخربوا أسوار البلد وتركوها بلاقع، وبذلك كانت نهاية الدولة الأتابكيّة، ينظر: مجموعة من المؤلفين: الموسوعة التاريخية، 3/6.

[4] ينظر: النيسابوري، إيجاز البيان، 1 /12-13؛ مجموعة من المؤلفين: الموسوعة التاريخية، 3/6.

[5] السيوطي: تاريخ الخلفاء، 1 /318.

ومن أهم ملوك الأَتَابِكَة التابعين للنَّاصِر لِدين الله:

الأَتابِك عِزّ الدّين مَسْعود صاحب المُوصِل:

انتهز الخليفة النَّاصِر لدين الله الخلاف بين عِزّ الدّين مَسعُود ونائبه الأمير مُجاهد الدّين قَايمَاز الذي ملك إِرْبِل وشَهْرَزُوَرد، ودَقوقا[1] وجزيرة ابن عمر، فحاصر بجنده أولًا دَقَوقا، ثم استعادها لتعود تابعةً للخلافة سنة 579هـ[2].

واسترجع الخليفة أيضًا تِكريت[3] في شوال سنة 585هـ إذ استغل فرصة مقتل صاحبها الأمير عِيسى على يد إخوته الذين ملكوا القلعة بعده، فبعث إليهم العساكر وحاصرهم حتى أعلنوا استسلامهم له، ثم دعاهم إلى بَغداد ومنحهم الإقطاعات[4].

وتستمر سياسة الخليفة النَّاصِر في إطار استعادة أملاك الخلافة العباسيّة، ففي أواخر هذه السنة 585هـ بعث النَّاصِر بجيش إلى حديثة المُوصِل[5] وعَانَة[6]، ورغم المقاومة الشديدة من المستولين عليها استطاع استعادتها في ربيع الأول سنة 586هـ، بعد أن قلّت لديهم المؤونة، واشترطوا مقابل تسليمها إقطاعًا، فأعطاهم الخليفة ذلك، وفي سنة 589هـ استولى على إحدى قلاع خُوزِسْتَان، تمهيدًا لاستعادة كامل الإقليم، وكانت الظروف مواتية لذلك، فقد توفي صاحبها، واختلف أولاده من بعده[7].

عزم الخليفة النَّاصِر، تجهّيز الجيوش، وبعثها إليها بقيادة الوزير ابن القَصّاب مُؤيَد الدّين محمَّد بن عليّ، وفي البداية دارت المراسلات بين جيش الخلافة وبين أهل هذه الولاية، وحين لم تؤت هذه المراسلات أية نتيجة، حصل القتال بين الطرفين، واستطاع جيش الخلافة أن يسيطر

---

(1) **دَاقُوقَا** هي: مدينة بين أربل وبغداد وتبعد عن إربل مسيرة خمسة أيام، وهي بلدة بها بساتين وأعين ماء، ياقوت الحموي: معجم البلدان، 459/2.

(2) ينظر: عبد الله العجمي: الخليفة العباسي الناصر لدين الله، ص31-32.

(3) **تِكْرِيت** هي: بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى على دجلة، وتقع غربي دجلة، ينظر: الحموي: معجم البلدان، 2 /38.

(4) ينظر: ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص245.

(5) **حَدِيثَة المُوصِل** هي: بلدة كانت بالجانب الشرقي على ضفاف نهر دجلة، أحدثها مروان بن محمد الحمار، ينظر: الحموي: معجم البلدان، 2 /230.

(6) **عَانَة** هي: بلد مشهور بين الرقة وهيت على ضفاف نهر الفرات في العراق، ينظر: الحموي: معجم البلدان، 4 /72.

(7) ينظر: ابن الأثير: الكامل، 10 /129؛ ابن الجوزي: مرآة الزمان، 8 /401؛ ابن الكازروني: مختصر التاريخ، ص245-246؛ محمد صالح: عودة الروح للخلافة الإسلامية، ص81.

على مدينة تِسْتِر[1] في شهر محرم سنة 591هـ، ثمّ استعاد غيرها من القلاع والحصون[2]، وحضر الأمير قَتْلَغ إِينَانِجْ بن البَهلَوانْ ومعه عدد من الأمراء إلى الوزير ابن القَصّاب وهو مقيم على مدينة مَيسَان[3]، وكانوا قد هُزموا أمام جيش خَوارِزم شَاه عَلاء الدّين تَكِشْ، في موقعة جرت بينهم وبينه عند زَنْجَان[4]، و قام الوزير بالترحيب بهم وإكرامهم، فأعطاهم الخيول والخيام وكل ما احتاجوا إليه، وخلع عليهم، وقادهم إلى هَمَذَان فاستطاعوا هزيمة الجيش الخوارزمي منها ومن الرَّي[5] وغيرها من المناطق[6].

غير أن الأمير قَتْلَغ إِينَانِجْ بن البَهْلَوانْ انقلب ومن معه من الأمراء على الوزير بعد أن خلت بلاد خُوزِسْتِان من الجند الخَوارِزْمِي، فطمعوا في البلاد التي استعادها الوزير للخلافة العبّاسيّة، فعجّلوا في المسير إلى مدينة الرَّي، وتعاون الشيعة معهم، ففتحوا لهم أبواب محلّاتهم، ولكن جند الخلافة العباسية حاصرهم واستطاع هذا الجيش في النهاية دخول الرَّي، واستولى عليها بعد أن فرّ عنها الأمير قَتْلِغ [7].

أما بلاد خُوزِسْتَان فكانت تابعة للخليفة العباسيّ النّاصر لدين الله، يعيّن عليها الولاة، ولكن هؤلاء الولاة أخذوا يتمرّدون ويعلنون انفصالهم عنه، فمثلًا في سنة 606هـ أبدى والي خُوزِستَان سِنْجَر ميلًا إلى الاستقلال وعدم الطاعة، لذلك بعث إليه النَّاصِر لدين الله يدعوه للحضور إلى بغداد، إلّا أنه رفض ذلك، فكان لزاما على الخليفة أن يوقف ذلك التدهور فلجأ إلى الشدة، فأرسل

---

[1] **تِسْتَر** هي: أعظم مدينة بخوزستان في إيران، ينظر: الحموي: معجم البلدان، 2 /29.

[2] ينظر: ابن الجوزي: مرآة الزمان، 8 /445.

[3] **مَيسان:** اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان، وفي هذه الكورة أيضا قرية فيها قبر النبي عزير، عليه السلام، ينظر: الحموي: معجم البلدان، 5 /242.

[4] **زَنْجَان:** بلد كبير مشهور من نواحي الجبال بين أذربيجان وبينها، وهي قريبة من أبهر وقزوين، والعجم يقولون زنكان بالكاف، وقد خرج منها جماعة من أهل العلم والأدب والحديث، ينظر: الحموي: معجم البلدان، 3 /152.

[5] **الرّيّ** مدينة مشهورة في خرسان (من إيران اليوم)، كثيرة الخيرات، قصبة بلاد الجبال، على طريق السابلة، قال الإصطخرى: كانت أكبر من أصفهان بكثير، تفانى أهلها بالقتال في عصبيّة المذاهب حتى صارت كأحد البلدان، ينظر: الحموي: معجم البلدان، 116/3.

[6] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 10 /131؛ محمد صالح، عودة الروح للخلافة الإسلامية، ص81-82.

[7] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 10 /132؛ محمد صالح: عودة الروح للخلافة الإسلامية، ص82-83.

مُؤيد الدّين القَمِيّ[1] نائب الوزارة، وعِزّ الدِّين نَجاح الشَّرابِي، بجيش إلى خُوزِسْتان، وأمرهما بإخراج سِنْجر منها، واحضاره عنوة إلى بَغْداد[2].

واستطاع جيش الخلافة العباسيّة حيازة خُوزِستَان، وإعادة المملوك المتمرد مأسورًا إلى بَغداد، وذلك في شهر محرم سنة 608 هـ، وعيّن النَّاصِر لِدين الله مكانه المملوك يَاقُوت، وعفى الخليفة النَّاصِر لِدين الله عن سِنْجر بعد اعترافه بذنبه[3]، ومن خلال ذلك يتأكد أن الخليفة النَّاصِر لِدين الله كان حريصًا على إرجاع هيبة الخلافة وقوتها وبالفعل نجح في ذلك.

ثالثا: علاقته مع الأَيوبيّين[4]:

كان الخليفة النَّاصِر لدين الله حريصًا على إدامة الود والتعاون بين العباسيّين والأيوبيّين في مِصر والشَّام، فتم للخلافة العباسية الهيمنة الروحية على مِصر، وتم تبادل الوفود والبشارات بين مِصر والشَّام، فكانت الهدايا والخلع تُحمل وتُكَلَّف بين الحكام والأمراء والولاة[5].

وأثناء خلافة النَّاصر لدين الله قام صَلاحُ الدّين الأَيوبِي باسترجاع معظم البلاد التي كانت في يد الإفرِنج وحرر القُدس الشريف وذلك يوم الجمعة 27 رجب سنة 583هـ، وبقي مستمرا في الفتوحات إلى تاريخ وفاته بدمشق يوم الاربعاء 26 صفر سنة 589هـ.

1-النَّاصِر لدين الله والسُلطان صَلاح الدّين الأَيوبي (ت 589هـ):

عندما انتقلت الخلافة العباسيّة إلى الخليفة النَّاصِر لِدين الله بعد وفاة والده المُسْتَضيء بالله سنة 575هـ، كان ذلك في السنة التاسعة من ولاية صَلاح الدِّين بن يُوسُف بن أَيوب على

---

[1] **مُؤيَد الدّين القَمِي**، هو: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن برز، الوزير، أبو الحسن، وكان كاتبًا بليغًا، ذو هيبه ووقار، قدم بغداد، وحصلت له مكانة عند الخليفة الناصر لدين الله وعينه كاتب الإنشاء في الديوان، ثم ناب الوزارة، وحظي بقدر عالٍ، وتوفي سنة (630هـ)، ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام ،45/ 408-409.

[2] ينظر: ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ص657.

[3] ينظر: ابن الساعي: الجامع المختصر، 9 /265.

[4] يرجع أصل الأيوبيين إلى الأكراد الروادية وينتسبون إلى أيوب بن شاذي من بلدة دوين، لكن بعض الأيوبيين حاول أن يبتعد عن الأصل الكردي ويرجع نفسه إلى الأصل العربي بشكل عام ونسل بني أميه بشكل خاص، وأنكر صلاح الدين الأيوبي الذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة هذا النسب وقال ليس لهذا أصل أصلًا، ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، 7 /139-140؛ ابن واصل: مفرج الكروب، 1 /5-6.

[5] ينظر: عبد الله العجمي: الخليفة العباسي الناصر لدين الله، ص53.

مصر، وتَمَّ ذلك أثناء وجود ضياء الدين الشّهْرُزُورِدِي سفير صَلاح الدِّين الأَيوبِي، في بلاط الخليفة لأداء بعض المهمات، فحضر إلى الديوان وبايع النَّاصِر لدين الله خليفة للمسلمين، وكتب بالخبر لِصَلاح الدِّين، فبادر السلطان إلى الخطبة للخليفة النَّاصِر في جميع البلاد[1].

وفي سنة 576هـ افتتح صَلاح الدِّين حصنًا من بلاد الأَرمَن على البحر الأسود، وهدمه، فوافاه رسل الخليفة النَّاصِر لدين الله، وهم شيخ الشيوخ أبو القَاسِم عَبْد الرَّحمَن بن إسماعِيل ومعه شِهابُ الدِّين بَشير[2]؛ بالتّفويض[3] والتّقليد[4] والتشريف والخلع النّبويّة[5]، فكان وصولهم يوما مشهورًا، فتلقاه السلطان بالإجلال والتعظيم، وحلت الرسل عنده وسلموا عليه فأخذهم إلى دِمَشْق وأكرم نزلهم[6].

إنَّ للخلافة العباسيّة مكانة رفيعة عند الأيوبيّين حيث كانت كلمتهم نافذة ومسموعة فنرى مدى تبجيل السُلطان صَلاح الدِّين للخليفة النَّاصِر لدين الله، وتقديم فروض الطاعة والولاء للخليفة والخلافة واحترام الرسل الذين هم ممثلو الخليفة. فسار السلطان بالخلع وزينت له دِمَشق وكان وصولهم كيوم عيد[7].

إنَّ مكانة صَلاح الدِّين الأَيوبِي كانت عالية عند النَّاصِر لِدين الله من أجل الانتصارات التي حققها، وخطبته للخلافة، مما جعل العلاقة بينهما ودية، وكان قد وصل صَلاح الدِّين الأَيوبِي مع الرسولين المذكورين قصيدة امتدحه بها سِبْطُ ابن التَّعاويذِي، وأرسلها إليه يهنئه بالخلع النبوية: ومطلعها[8]:

---

[1] ينظر: ابن واصل: مفرج الكروب، 2 / 92.

[2] **شِهابُ الدّين بَشير الخادِم**، توفي عند رجوعه من دمشق إلى بغداد، (سنة 580هـ)، ينظر: العِمَاد الكاتب: سنا البرق الشامي، ص259.

[3] **التَّفويض**، هو: أن يفوض السلطان إليه حكم مدينة سروج والرها وحران والخابور ونصيبين، ينظر: الملك المنصور: مضمار الحقائق ص51.

[4] **التَّقليد**، هنا بمعنى: الكتاب المرسوم بتوليه شأنًا من شؤون الدولة، ينظر: الملك المنصور: مضمار الحقائق، ص51.

[5] **الخلع النّبويّة** وهي كانت: ملابس كلها سوداء مذهبة، وأثاث منزل، وجواد أصيل من خيول الخليفة الناصر لدين الله عليه سرج وسلال وقيد من الذهب، وعدة هدايا أخرى، ينظر: ابن واصِل: مفرج الكروب، 2 /95.

[6] ينظر: اليافعي: مرآة الجنان، 3 /305.

[7] ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 12 /307.

[8] سبط ابن التعاويذي: الديوان، ص22.

(البحر الكامل)

حَتّامَ أَرضى في هَواكَ وَتَغضَبُ وَإِلى مَتى تَجني عَليَّ وَتَعتَبُ

ومنها[1]:

فَأَفِض مَلابِسَها عَليكَ عَطيَّةً لا تُستَرَدُّ وَنِعمَةً لا تُسلَبُ

وَالبَس شِعارًا ما تَجَلَّلَ مِثلَهُ لِسِوى الأَئِمَّةِ مِن قُرَيشٍ مَنكِبُ

مِمّا تَخَيَّرَهُ الخَليفَةُ مِنحَةً لَكَ فَاصطَفاهُ كِفاءَ ما تَستَوجِبُ

يخاطب الشاعر هنا صَلاح الدِّين الأَيوبي ويدعوه لقبول هدية الخليفة وارتدائها فهي هبة لا ترد، ونعمة لا تزول، وكأنها شعار للأئمة من نسل قريش الكريم، وهنا تلميح لنسب النَّاصِر لدين الله الشريف فهو يعود لجد الرسول– صلى الله عليه وسلم– أبي العَباس، وقد أكرمه الخليفة بهذه المنحة واصطفاه بها لما استحقه صَلاح الدِّين بأعماله البطوليّة.

وفي سنة 583هـ، ملك صَلاح الدِّين مدينة طَبَريّا وقلعتها وتقدم نحو عَكَّا وأخذها ثم سار إلى قِيسَاريّة وحَيفَا وصَفُورِيّة والنَّاصِرَة ويَافَا وتِبنِين وصَيدا وبَيروت وعَسقَلان، ولما فرغ من ذلك اقترب من بيت المَقدِس، وفي يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب سنة 583هـ، وليلته ليلة الإسراء والمعراج أتمَّ صلاح الدين تحرير بيت المقدس من أيدي الإفرِنج[2].

يُعدُّ فتح بيت المَقدس من أعظم الفتوحات الإسلاميّة وأهمّها، فلقد أكدت المصادر التاريخيّة أهمية هذا النصر العظيم بتحرير بيت المَقدس، وكيف نُقِلَت البشارة إلى الخليفة النَّاصِر لِدين الله، وكيف علا اسم الخليفة العباسيّ النّاصر لدين الله أمير المؤمنين ثم اسم القائد صَلاح الدّين، والدعاء لهما من فوق منابر بَيتِ المَقدِس.

---

[1] سبط ابن التعاويذي: الديوان، ص26.

[2] ينظر: عماد الدين الأصبهاني: الفتح القسي، ص73.

وفي سنة 583هـ، أرسل صَلاح الدِّين الأَيوبِي رسالتين الأولى: بقلم القاضي الفاضِل[1]، يُبشر الخليفة النَّاصِر لدين الله بفتح القُدس الشريف واستنقاذه من أيدي الصليبيّين، ومنه، قال:

"أدام الله أيام الديوان العزيز النبوي النَّاصِري، ولا زال مظفّر الجِدّ بكلّ جاحد، غنيًّا بالتوفيق عن رأي كل رائد، موقوف المساعي على اقتناء مطلقات المحامد؛ مستيقظ النصر والسيف في جفنه راقد، وارد الجود والسّحاب على الأرض غير وارد؛ متعدّد مساعي الفضل وإن كان لا يلقى إلا بشكر واحد، ماضي حكم القول بعزم لا يمضي إلا بنسل غويّ وريش راشد، ولا زالت غيوث فضله إلى الأولياء أنداء إلى المرابع وأنوارًا إلى المساجد، وبُعوثُ رعبه إلى الأعداء خيلًا إلى المراقب، وخيالًا إلى المرافد"[2].

والرسالة الثانية: بقلم العِماد الأِصْفَهانِي إلى الخليفة النَّاصِر لدين الله ببغداد يهنئه بفتح القُدس، ومنها:

قال: "الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد، على نصرته لهذا الدّين الحنيف من قبل ومن بعد؛ وعلى أن أجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على شبهها كرام الصحائف، ولم يجادل عن مثلها في المواقف؛ في الأيام الإماميّة الناصريّة زادها الله غررًا وأوضاحًا، ووالى البشائر فيها بالفتوح غدوًا ورواحًا"[3].

ويذكر أنَّ صَلاح الدِّين أرسل إلى الخليفة النَّاصِر سنة 585هـ، عددًا من أسرى الفِرِنْج، وتاج ملك الإفرِنْج وكان من نحاس مطلي بالذهب، والصليب الذي كان فوق صخرة بيت المَقدس بالإضافة للهدايا والتحف وأشياء كثيرة، فدفن الصليب تحت عتبة باب النُوبِي بِبَغداد، فكان الناس يمرون عليه إذلالًا للصليب، وفخرًا واعتدادًا بانتصار جيوش المسلمين على جيوش غرب أوروبا[4].

---

[1] **القاضي الفاضِل**، هو: عبد الرحيم بن علي بن الحسن اللخمي، الكاتب، صاحب ديوان الإنشاء الصلاحي، ولد بعسقلان وعاش في مصر، برعَ في الترسل وبلاغة الإنشاء، كان وزير صلاح الدين الأيوبي، وقال عنه: "لا تظنوا أني فتحتُ البلاد بالعساكر، إنما فتحتُها بقلم القاضي الفاضل"، يلتزم القاضي الفاضل في مقدمات رسائله بالسجع والطباق والجناس والتشخيص والتورية، توفي سنة(596هـ)، ينظر: الذّهبي: سير أعلام النبلاء، 338/21.

[2] ابن واصل: مفرج الكروب، 336/3.

[3] ابن واصل: مفرج الكروب، 344/3.

[4] ينظر: المقريزي: السلوك، 1 / 215.

وفي السادس عشر من شهر ربيع الأول عام 586هـ: "قدم فَخر الدّين نَقيب مشهد التِبِن بِبَغداد رسولًا من الخليفة النَّاصِر لدين الله إلى صَلاح الدِّين، ومعه حملان من النفط، وتوقيع بعشرين ألف دينار من الديوان العزيز، وخمسة من الزَرّاقِين[1] المتقنين صناعة الإحراق بالنار، فاعتز صَلاح الدِّين بذلك، وشكر الديوان عليه، وردّ التوقيع عليه، وقال:" كل ما معي من نعمة أمير المؤمنين، ولولا صرف أموال هذه البلاد للجهاد، لكانت محمولة إلى الديوان، وحمل الرسول معه إلى أرض القتال، وأطلعه على ما يحدث، حتى يشهد بما رآه، فأقام مدة، ثم استأذن ورجع للخليفة"[2].

ويظهر لنا مما سبق أن علاقة صَلاح الدِّين بالخليفة النَّاصِر لدين الله كانت وثيقة، سادتها روح التفاهم والتعاون والاحترام والاعتراف بالسّيادة الدّينيّة للخليفة العباسيّ على الرغم من القوة التي وصلت إليها الدولة الأيوبيّة في عهد صَلاح الدِّين.

وبعد وفاة صلاح الدين الأيوبي استمرت العلاقات الطيبة بين الخليفة العباسي وباقي أمراء بني أيوب حسب المنهج الذي رسمه صلاح الدين حيث نرى أن أولاده وورثته يبادرون ويعجلون في إعلان الولاء للخلافة وطلب التقليد والتأييد من الخليفة العباسي.

2- الخليفة النّاصر لدين الله وملوك الدولة الأيوبيّة بعد صلاح الدين:

بعد وفاة صَلاح الدِّين قُسمت الدولة الأيوبيّة بين أولاده وإخوته، فَمَلَكَ الأَفْضَل أبو الحَسَن عليّ(ت: 622هـ) دِمَشق والسَاحِل وبَيتَ الَمقدِس وبَعْلَبَك وصَرخَد وبَصرَى وغيرها، وملك المَلك العَزيز عِمَادَ الدّين عُثمان(ت: 595هـ) الديار المصرية وما ينسب إليها ، أما حَلَبْ وبلادها فكانت من نصيب المَلِك الظَّاهِر غِياثَ الدّين غَازي(ت: 613هـ)، وبالكَرَك والشُوبَك أخوه المَلِك العَادِل سَيف الدّين أبو بَكِر بن أَيوب، أما حَماة والمَعرَّة ومَنبَج وقَلعَة نَجم فكانت لأخيه المَلِك المَنصُور مُحَمَّد بن تَقِي الدِّين عُمر بن أَيوب (ت:617هـ) ، وكانت حِمْص والرَّحْبَة وتَدمُر للملك أَسدُ الدّين

[1] **الزَرَاقْ**: ومعناه هنا رامي النفط من الزراقة، وهي أنبوبة خاصة يقذف بها النفط، ينظر: ابن واصل: مفرج الكروب، 2 /314.

[2] ابن واصِل: مفرج الكروب، 2 /314.

أبو الحارِث ابن ناصِر الدّين مُحَمَّد (ت: 637هـ)، وبَعْلَبَك وأعمالها للملك الأَمْجَد بن بَهرام شَاه بن أَيوب(628هـ)، وبَصرَى بيد المَلِك الظَّافِر، الخَضِر بن يُوسُف صَلاح الدِّين(ت: 568هـ)[1].

وسعى الأَفْضَل الذي تولى دِمَشق بعد والده أن تكون له عِمَادَة الأيوبيّين فسارع بإِنْباء الخلافة خبر الوفاة، ثم فَوَّضَ الضِّياء الشَّهرُزْوَرِدِي لحمل الرسالة إلى بَغداد بعد مشاورة أخويه وعمه في مِصر والشَّام وإخبارهم بإرسال الرسول حتى لا يشتبه أنه انعزل بالعمل عنهم[2].

وقد أرسل المَلِك الأَفضَل عند تسلمه للسلطة في دِمَشق إلى بَغداد رسولًا وصحبته لأمَة الحرب[3] التي لصَلاح الدِّين وسيفه ودرعه وحصانه الذي كان يحضر عليه الغزوات بالإضافة إلى الهدايا والتحف والخيل، ودينار واحد وستة وثلاثين درهمًا، لم يخلف من المال سواها[4].

وأرسل أربع جوارٍ من بنات ملوك الإفْرِنج، وأنشأ له العماد كتابًا حافلًا يذكر فيه التعزية بأبيه، وطلب المُلكَ من بعده من الخليفة النَّاصِر لدين الله فوافق الخليفة على ذلك[5].

هذه الأمور تؤكد لنا استمرار الولاء والتبعية الأيوبية للخلافة العباسيّة بعد وفاة السلطان صَلاح الدِّين، ولكن الأمر لم يبقَ للأَفضَل كون عمه العادِل أكبر منه عمرًا، وأكثر خبرة، وكان يؤيده ملوك الدولة الأيوبيّة؛ فسحب البساط من تحته ووضع البلاد تحت حكمه وحلف الجميع له بالبيعة سنة (596هـ)[6].

وعند اشتداد الصراع والخلافات الداخلية بين بني أيوب أرسل الملك الأفضل يستنجد بالخليفة العباسي النَّاصِر لدين الله كونه أمير المؤمنين ويمثّل السلطة العليا، التي تمنح التقليد والتفويض للحكم. ففي سنة 592هـ، عندما زاد الصراع في دِمَشق بين الأَفضَل والعادل، كتب الملك الأفضل إلى الخليفة النَّاصِر يشتكي إليه اغتصابهما ميراثه من أبيه جاء فيه[7]: (البحر البسيط)

---

[1] ينظر: ابن واصل: مفرج الكروب، 3 /3-4.

[2] ينظر: المقريزي: السلوك، 1 /228.

[3] الجمع: لأم، ولُؤَم، اللأمَةُ: أَداةُ الحرب كلُّها من رمحٍ، وسيفٍ، ودرع، المعجم الوسيط 2 / 811.

[4] ينظر: عماد الدين الأصبهاني: الفتح القسي، ص 380.

[5] ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية، 13 / 8.

[6] ينظر: ابن واصل: مفرج الكروب، 3 / 111-112.

[7] ابن واصل: مفرج الكروب، 3 / 69.

مَولايَ إنَّ أَبا بَكر وَصاحِبَه عُثمانَ قَد غَصَبا بِالسَيفِ حَقَّ عَليّ

فَانظُر إِلى حَظِّ هَذا القِسْمِ كَيفَ بَقِيَ مِنَ الأَواخِرِ مَا لاقَى مِنَ الأُوَلِ[1]

ولكن النَّاصِر لِدين الله لم يتدخل في الشؤون الداخلية لدولة بني أَيوب فلم يلق الأَفضَل من الخليفة سوى التأييد الكلامي، فلم يكن رده قويًا من الناحية العملية وكان من الناحية الشعرية العقائدية، فكسب ودهم وقوى صلاته معهم دون اللجوء للعنف[2].

وكانت رسل العَادِل إلى الديوان العزيز لا تنقطع حاملةً الهدايا والألطاف، وتجد التّرحيب والتقدير وكانت شفاعة الملك العَادِل عندهم مقبولة[3]، وهذا يدلل على قوة العلاقة ومتانتها بين الخليفة النَّاصِر لدين الله والملك العادِل.

وأنَّ الملك العادِل أَبو بَكِر مُحَمَّد بن أيوب في سنة 604هـ، بعث أُستاذ داره الدُوكِلْزِ العَادِلِي والقاضي نَجم الدّين خَليل المَصمُودِي الحَمَوي قاضي العسكر، رسولين إلى الخليفة النَّاصِر لدين الله يطلب التشريف والتقليد على مِصر والشَّام والبلاد الجَزَرِيّة، فأكرما وأحسن إلى مطلبهما، وسير الشيخ شِهابُ الدِّين السُّهْرُوَردِي ومعه التشريف والتقليد وخلع رسول الخليفة على المَلِك الأَشرَف، والملك المعظم ولدي صَلاح الدِّين، ثم توجه شِهاب الدِّين السُّهْرُوَردِي إلى الديار المِصرِيَّة فخلع على المَلِك الكامِل بن صَلاح الدِّين، وعندما قارب الشيخ أبو حَفْص حَلب خرج المَلك الظَّاهر غَازِي بعساكره إلى لقائه وأكرم نزله فعاد إلى بغداد مكرمًا معظمًا[4].

ومن هنا نلاحظ، أن علاقة الأيوبيّين استمرت مع الخلافة العباسيّة علاقة ود واحترام، وتعظيم من جانب السلطان صَلاح الدِّين وأبنائِه من بعده، فكان الرسل بين الخليفة النَّاصِر لدين الله والملوك الأيوبيّين لا نتقطع في أمور شتى، وبخاصة كُتبُ التفويض والخلع، والمساعدة العسكرية للجهاد ضد الفِرنجَة، والهدايا المختلفة، ونقل بشائر الانتصارات التي يحققها الملوك الأيوبيّون على الفِرنجة.

---

[1] يقصد بأبي بكر عمه وبعثمان أخوه وبعلي نفسه.

[2] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 45 /124.

[3] ينظر: ابن الساعي: الجامع المختصر، 9 / 259-260.

[4] ينظر: المَقْرِيزي: السلوك، 1 /283.

رابعا: علاقته مع الخوارزميّين[1]:

انتهج الخوارزميّون سياسة تقوم على التوسع على حساب الدول المجاورة لهم، التي بدأت تضعف وفي مقدمتها دولة السّلاجقة، وتوسّعوا على حساب سلطنة الغوريّين إلى الجنوب منهم، وأملاك الخلافة العباسيّة في الغرب مما جعل هذه الدول ناقمة عليهم.

السلاطين والمُلوك الخوارزميّون الذين عاصرهم الخليفة النَّاصر لدين الله هم:

1- السُلطان تَكِشْ أَتْسِزْ بن مُحَمَدّ خَوارِزْمْ شَاهْ(568-596هـ).

تحالف الخليفة الناصر لدين الله مع الخوارزميّين، فأرسل إلى خَوارِزْم شَاهْ تَكِشْ(568-596هـ) ليستعين به في القضاء على السلطان طِغرِل السّلجوقِي، فحدث اشتباك بين الدولة الخوارزميّة والدولة السلجوقيّة، وكانت نتيجته هزيمة جيش السّلاجقة، وقتل طِغرِل سنة590هـ، وحمل رأسه على رمح إلى بَغداد ومعه قاتله وهو شاب تُركي أَمير[2]. فَفَرِحَ به الخليفة النَّاصر لدّين الله، وبعث له خلع السلطنة مع وزيره مُؤَيَد الدّين ابن القّصّاب[3]، وترددت الرسل بينهما[4].

وطمع الخوارزميّون بأخذ الدور الذي كان يقوم به سلاطين السّلاجقة مع الخلفاء العباسيّين، ورأى الخليفة النّاصر لدين الله أنهم يشكلون خطرًا على دولته مثل السّلاجقة، وفي سنة 591هـ، بعث خَوَارِزم شَاه إلى الخَليفة النَّاصِر يطلب السلطنة، وإعادة دار السلطنة التي كانت للسلاجقة إلى ما كانت عليه، وأن يجيء إلى بَغداد ويكون الخليفة من تحت يده وكانت الملوك السلجوقيّة، فغضب النَّاصر لدّين الله وهدم دار السّلطنة ورد الرسول بغير جواب[5].

---

[1] **الدولة الخَوارزمِيّة** (شَاهات خوارزم): 470 – 628 هـ: تنسب إلى أنوشتكين. كان مملوكًا تركيًا لأمير سلجوقي (من سلاجقة خراسان) فقاد له عدة معارك، فقربه الأمير حتى ولّاه على خوارزم ولقبه خوارزم شاه، فاستولى وأبناءه على دولة السلاجقة بخراسان والري وفارس وبلاد ما وراء النهر وغيرها. قضى عليهم المغول سنة 628 هـ، ينظر: أحمد العسيري: موجز التاريخ الإسلامي،1 /248.

[2] ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 22 / 215.

[3] **مُؤَيَد الدّين ابن القَصَّاب**، وهو: المظفر محمد بن أحمد بن القصاب، عجمي الأصل، كان أبوه يبيع اللحم ببغداد، ونشأ هو مشتغلًا بالعلوم والآداب، صاحب نفس قوية وهمة عالية، مضى إلى بلاد العجم وصحبته العساكر فملك أكثرها، ينظر: ابن الطقطقى: الفخري في الآداب السلطانية، ص310.

[4] ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 22 /215.

[5] ينظر: السيوطي: تاريخ الخلفاء، 322/1.

ثمَّ أَرسل الخليفة النَّاصِر لِدين الله في سنة 592هـ، جيشًا بقيادة سَيف الدّين طِغرِل وسيره إلى أَصفَهان لمحاربة خَوارِزم شَاه والإطاحة به، ونجح في ذلك، وكان بأَصفَهان عسكر لخَوارِزم شَاه مع ولده وكان أهل أَصفَهان يكرهون الخوارزميّين، فكاتب صَدر الدَين الخَجِنْدِي[1] رئيس الشافعيّة بأَصفَهان الديوان بِبَغداد، يبذل من نفسه تسليم البلد إلى من يصل إليه من العساكر، فكان هو الحاكم بأَصْفَهان على أهلها جميعهم، وعندما وصل عسكر الخليفة أَصْفَهان فارقها عسكر خَوارِزْم شَاهْ وعادوا إلى خَراسَان، وتبعهم عسكر الخليفة فأسروا منهم، ودخلوا أَصْفَهان وملكوها[2].

وامتدت سلطة الخلافة إلى تِكرِيتْ على دِجْلَة وهِيت[3]. وحَديثَة[4]. ونظرًا لذلك استعادت الخلافة مكانتها في نفوس المسلمين في أقاليم العالم الإسلامي[5].

وهكذا تمكن الخليفة النَّاصِر لِدين الله من بسط نفوذه على ما كان بيد الخوارزميّين من أملاك من شرق العِراق إلى الرَّي، وساعده في ذلك كره أهل هذه المناطق للخوارزميّين.

وبعد ذلك تحسنت العلاقة بين الخوارزميّين والخلافة العباسيّة ففي سنة 596هـ، وصل سَيف الدّين ابن أخي السلطان خَوارِزم شَاهْ إلى بَغداد مُحاولًا إظهار الطاعة والاعتذار عما طلبه من الخطبة له في بغداد، والتقى بالموكب الشريف الديواني، ودخل الباب النوبي المحروس وقبل العتبة الشريفة فخلع عليه وأكرم مثواه[6]، ثم استأذن بالعودة بعد أن شرف بالتشريفات اللائقة وأعطي الكُوس[7] والعلم بالإضافة للهدايا والتحف[8].

---

[1] **صَدر الدّين الخَجِنْدِي** هو: محمد بن عبد اللطيف بن محمد الخجندي، ولقبه صدر الدين، قدم بغداد سنة 588هـ، فقربه الخليفة وأنعم عليه، وولّاه تدريس المدرسة النظامية ببغداد، وكان رئيس الشافعية بأصفهان، ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 386/20.

[2] ابن الأثير: الكامل، 9 /234.

[3] **هِيت هي**: بلدة على نهر الفرات من أطراف بغداد فوق الأنبار، ذات نخل كثير وخيرات واسعة مجاورة للبرية، وتكثر فيها المنارات، وسميت بذلك لأنها في هوة من الأرض وقيل سميت باسم بانيها وهو هيت بن السندي، ينظر: الحموي: معجم البلدان، 5 /420 – 422.

[4] **حَدِيثَة**: تعرف بحديثة النورة وتبعد كيلومترات من الأنبار وبها قلعة حصينة وسط الفرات والماء يحيط بها، فتحها أبو مدلاج، سميت بذلك لما أحدث بناؤها ثم لزعمها فصار علمًا، ينظر: الحموي: معجم البلدان، 2 /230.

[5] ينظر: القلقشندي: مآثر الأنافة، 2 /58.

[6] ينظر: ابن الساعي: الجامع المختصر، 9 /19.

[7] **الكوس هو**: الطبل الذي يستخدم في أيام الحروب لتنبيه الناس، وقد يتخذ الكوس لغير الحرب كتنبيه الناس ببدء الصيام، ينظر: ابن الساعي: الجامع المختصر، 9 /24.

[8] ينظر: ابن الساعي: الجامع المختصر، 9 /24–35؛ اليافعي: مرآة الجنان، 3 / 366–367.

2-السلطان عَلاء الدِّين مُحَمَدْ بِن تَكِشْ خَوارِزمْ شَاه(596-617هـ).

حكم السلطان عَلاءُ الدِّينِ مُحَمَدْ خَوارِزم شَاه من سنة 596هـ إلى 617هـ، فكانت علاقته بالخلافة العباسيّة في بداية حكمه جيدة في العموم، وذلك بسبب انشغاله بالمشاكل الداخلية عدا محاربته الغوريّين والخُطَا[1] وتبادل الرسل مع الخلافة العباسيّة بهدف تحسين علاقتهما[2].

ولكن الأحداث تبدلت في النصف الثاني من حكم خَوارِزمْ شَاه، فما لبث أن عاد الصراع بين الخوارزميّين والخلافة العباسيّة؛ والسبب الأهم في ذلك: رغبة الخوارزميّين في التوسع على حساب أملاك الخلافة العباسيّة، فأعاد خَوارِزمْ شَاه الطلب من الخليفة النَّاصر لدين الله بإقامة الخطبة في بغداد، وكان يخطب للسلجوقيّة، ويتلى له في الخطبة قسم أمير المؤمنين فلم يستجبْ لطلبه وأنكره عليه غاية الإنكار[3].

فسار عَلاء الدّين مُحَمَّد خَوارِزم شَاه في أربع مئة ألف راكب سنة 614هـ، إلى أن وصل هَمَذان قاصدًا بغداد ليتملكها ويحكم على النَّاصر لدين الله، في حين حاول النَّاصر لدين الله حل الخلاف بالطرق السلمية ومد جسور الصداقة، فأرسل رسوله شِهاب الدّين السُّهرُوَردِي لملاقاة خَوارِزم شَاه عَلاء الدّين في هَمذَان ومحاولة ثنيه عن غزو بَغْدَاد. وفي الوقت نفسه استعد الخليفة النَّاصر لدين الله بكل ما لديه وفرق الأموال والسلاح استعدادًا لرد العدوان[4].

وقال الرسول: "أُدخلت إليه في خيمة عظيمة لم أرَ مثل دِهليزها والأَطناب حرير، وفي الخدمة ملوك العجم، وما وراء النهر. وذكر عَلاء الدّين: وهو شاب عليه شعرات قاعد على تخت وعليه قباء وعلى رأسه قلنسوة جلد، فسلمت فما رد ولا أمرني بالجلوس، فخطبت وذكرت فضل بني العَباس، والترجمان يخبره فقال: قل له: هذا الذي تصفه ما هو في بَغْدَاد بل أنا أجيء وأكون الخليفة"[5].

---

[1] **الخُطا، هم:** وهم مَن سكنوا بلاد ما وراء النهر وعاصمتها سمرقند، وصفهم ابن الأثير بالكفرة، وكان من عادتهم أنهم لا يخرجون من خيامهم ليلًا ولا يفارقونها، وكان شيخ دولتهم هو القائم مقام الملك فيهم ويعرف بطاينكو، وكان معمّرًا، وكان حسن التدبير والعقل، جرت حروب بينهم وبين خوارزم شاه انهزموا فيها وقَتل منهم وأسر أعدادًا كثيرة، ابن الأثير: الكامل، 10/153-155.

[2] ينظر: نافع العبود: الدول الخوارزمية، ص91.

[3] ينظر: الحموي: التاريخ المنصوري، ص69.

[4] ينظر: اليافعي: مرآة الجنان، 4 /23.

[5] ابن الدَّوَاداري: كنز الدرر، أخبار بني أيوب، 7 /189.

فعاد الشيخ السُّهْرُوَرِدِي إلى الخليفة بغير جواب ولكن شاء الله أن يسير جيش خَوارِزم شَاه إلى بَغْداد في أواخر الخريف وبداية الشتاء، فحصلت عواصف ثلجية طامة، مدة عشرين يومًا[1].

وشحّت المؤونة على جيشه، فهلك الرجال والدواب، فصارت الأرض فهلك خلق كثير ولم ينج من الجِمال شيء، فاضطر خَوارِزْم شَاه أن يعود من حيث أتى، وفسر المقربون من عَلاء الدّين ما حصل بأنه غضب من الله بسبب خروجه وعصيانه للخليفة أمير المؤمنين[2].

وبذلك تكون هذه هي آخر محاولة من خَوارِزم شَاه علاء الدين لمهاجمة الخلافة العباسيّة؛ فقد انشغل بعد ذلك بمحاربة المَغُول الذين طمعوا بمملكته[3].

3-السلطان جَلالُ الدِّين مَنكِبَرْتِي (617-628هـ)، آخر سلاطين الدولة الخوارزميّة.

تولى جَلالُ الدِّينِ مَنكِبَرْتِي الحكم بعد أبيه سنة 617هـ، وقد زادت هجمات المَغول على مملكته فيما هو ألحَّ على الخليفة بطلب الخطبة له في بَغداد وكان الأمر زمن السّلاجقة الأوائل، ولم يستجب الخليفة النّاصر لدّين الله لطلبه، وبعد مشاحنات تحسنت العلاقة بينهما ودخل جَلال الدّين في طاعة الخليفة.[4].

وكان جَلالُ الدِّينِ مَنكِبَرتِي يريد التوسع غربًا في أراضي الخلافة العباسية وما حولها من الدول الإسلامية، ولكن الخليفة تصدى له بالتعاون مع أمراء الأطراف المسلمين، مما أضرَّ بالدولة الخوارزميّة أولًا وبالمشرق الإسلامي ثانيًا، في تلك المرحلة الحرجة[5].

ولما فشل جَلال الدّين في تحقيق أطماعه في الخلافة العباسيّة وغزو بَغداد، قام بمراسلة الخليفة النّاصر لدّين الله لمد يد الصلح له والدخول تحت طوعه، لكسب تأييد عامة المسلمين[6].

---

[1] ينظر: ابن كثير: البداية والنهاية 13 /76.

[2] ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء: 22 /231.

[3] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 45 /85.

[4] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 9 /355.

[5] ينظر: نافع العبود: الدولة الخوارزمية، ص106.

[6] ينظر: النسوي: سيرة السلطان منكبرتي، ص64.

فأكرم الخليفة النّاصر رسول جَلال الدّين وقام بإعادته إليه: "موفور الحظ من الأنعام جزيل القسط من النيل العام"[1].

وخلاصة القول: فإنَّ السياسة التي اتَّبعها الخليفة النَّاصِر لِدين الله أسهمت بدور مِفصلي في فرض هيبة الخلافة والمحافظة على استقلاليتها في حِقبة مضطربة شهدت محاولات السّلاجقة والخوارزميّين السيطرة على الخلافة العباسيّة. رغم محاولات النَّاصِر لدين الله بأن تكون العلاقات وديّة بينه وبينهم.

[1] النسوي: سيرة السلطان منكبرتي، ص192-193.

المبحثُ السَّادس: علاقاتُه مع المُلُوكِ والأمراء غير المُسْلمين.

علاقته مع التَّتار[1]:

بدأ التَّتار يفكرون في غزو مدينة أرْبِل، الواقعة بجوار المُوصِل شمال العِراق سنة (618هـ)، فدب الرعب في قلوب أهلها، وكذلك في قلوب أهل مدينة المُوصِل غَربِي أرْبِل، واستعد أهل البلدين لتركهن والهروب من وحشية التّتار، فخاف الخليفة النّاصر لدّين الله أن يحيد التّتار عن مدينة أرْبِل ويتوجهوا إلى بَغداد، فجهز جيشًا وأعلن حالة الاستنفار العام في كل المدن العِراقية الواقعة تحت سيطرته. لكن قائد الجيش العباسِيّ مُظَفَر الدّين عندما رأى أمامه مئات الآلاف من التّتار رفض محاربة التّتار بهذا العدد القليل وانسحب من المعركة، وحصل شيء غريب جدًّا، فقد شعر التّتار أن هذا الانسحاب خدعة، وأن هذه الفرقة ما هي إلّا مقدمة للجيش الإسلامي الكبير؛ ولذلك قرر التَّتَار تجنب المعركة، وانسحبوا بجيوشهم. فلقد كان الرعب من الدولة العباسيّة العريقة يملأ قلوبهم لتاريخها العريق المليء بالأمجاد والانتصارات[2].

فقرروا أن يشنوا على الخلافة العباسيّة ما يعرف بحرب الاستنزاف وألا يدخلوا معها في صدام مباشر، فقاموا بعمل ضربات خاطفة موجعة، وحصار طويل مستمر للعراق، وعقد اتفاقيات وعمل أحلاف مع الدول والإمارات المجاورة؛ لتسهيل شن الحرب في الوقت المناسب، ومن أجل ذلك انسحب التَّتار[3].

---

[1] **التَّتار أو المَغُول**، هم: قبائل رُحَل سكنت إقليم منغوليا على حدود الصين، عاشوا على الرعي والصيد، قام جنكيز خان بجمع شملهم وفتح بهم بلاد الصين ثم هاجم بهم مملكة الخوارزميّين، وأغار بكل وحشية على خَراسَان، حتى وصل الرَّي وهَمَذان وغيرها، من بلاد المسلمين، شوقي ضيف: تاريخ الأدب، 5 /494-495.

[2] ينظر: السرجاني: التتار من البداية إلى عين جالوت، 5/3.

[3] ينظر: المصدر السابق، 5/3.

المبحثُ السابع: آثارهِ العلميَّة.

كان النَّاصِرْ لِدِّينِ الله العَباسيّ من الخلفاء الأَقوياء الذين حاولوا استعادة سلطة الخلافة وهيبتها، فلم يترك بابا لذلك إلّا طرقه[1]. وقد ألف النَّاصِر لدين الله كتابًا سماه (رُوحُ العَارِفِين)، اشتمل عَلى أحاديث رواها عن شيوخه الذين أجازوا لَهُ، منهم عَبد الحَق بن عَبد الخَالِق بن أَحمَد بن يُوسُف أبو الحُسين: وأذن هو لجماعة بالإجازة فيه، وقرئ هَذَا الكتاب في جوامع مدينة بغداد فِي أكثر من مائة موضع وبغيرها[2].

وفي سنة 607هـ ظهرت الإجازات التي أخذت له من الشيوخ، وذكرهم في كتاب " روح العارفين " الذي شرحه الحَافِظ يُوسُف سِبط ابن الجَّوزِي، وكان وقفًا بدار الحديث الأشرفية بِدِمَشْق سنة 613 هـ، يقول ابن الجوزي: "فيها سافرتُ إلى خِلّاط، وبعث الخليفةُ كتاب رُوحُ العَارِفِين إلى المَلِك الأَشرَف مُوسى الأَيوبِي، وعرضه على العلماء الذين هم في خدمته، وأمرهم أن يَشرحوه، فلم يقدروا على شرح حديثٍ واحدٍ، فأشار إليَّ بشَرحِه وتَبيين ما فيه من الفوائد: فشرحتُه، والنسخةُ موقوفةٌ بدار الحديث الأَشْرَفِيَة بِدِمَشْق"[3].

ودفع الخليفة إلى أهل كل مذهب إجازة عليها مكتوب بخطه: " أجزنا لهم ما طلبوا على شرط الإجازة الصحيحة، وكتب العبد الفقير إلى الله أبو العباس أحمد أمير المؤمنين". وسلمت إجازة أصحاب الشَّافِعي إلى ضِياءِ الدّين عبد الوَّهاب بن عَليّ الصُوفِي، وإجازة أصحاب أبي حَنيفَة إلى الضِّياء أَحمَد بن مَسعود التِركِسْتانِي، وإجازة أصحاب أَحمد إلى أبي صَالح نَصر بن عَبد الرَّزاق بن الشَيخ عبد القَادِر، وإجازة أصحاب مالك إلى التَّقِي ابن جَابِر الزَّاهِد المَغربِي التَّاجِر[4].

ومن أهم الأسباب لعناية النَّاِصر لدين الله برواية الحديث، إيمانه العميق وحبُّه للحديث الشريف، وثقافته العلمية، وكان من سياسته كسب الرأي العام وتثبيت قدسية الخلافة في نفوس الناس وملوك الأَطراف[5].

---

[1] ينظر: الإربلي: تاريخ اربل، 2 / 62.

[2] ينظر: ابن الدبيثي: المختصر المحتاج إليه، 1 / 103.

[3] ابن الجوزي: مرآة الزمان، 1 / 27.

[4] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 43 / 29.

[5] ينظر: الذَّهَبي: سير أعلام النبلاء، 22 / 197.

وفي سنة 608هـ أمر الخليفة النَّاصِر لدين الله أن يقرأ مسند أَحمَد بمشهد موسى بن جَعفَر بحضرة صَفِي الدّين محمَّد بن سعد المُوسَوِي، بإجازته من الخليفة، قال: "لعل هذا المظهر من خلفاء بني العَباس في باب التحديث والرواية هو الذي أراد السلطان سُلَيمان العُثماني أعظم ملوك الترك وأعلمهم أن ينسج عليه، فقد ذكر الرحالة أبو القاسم الزَيانِي في رحلته الكبرى أنه وقف في المكتبة السليمانية بإسطنبول على فهرسة السلطان سُلَيمان المذكور مكتوبة في أوراق من فضة على شكل أوراق القصدير كتابتها بالتركي، منحوتة في الفضة مطعمة بحروف.

قال: " ذكر له القيم على هذه المكتبة أن فيها نسبه إلى جده سُلَيمان شاه وعمود نسبه إلى يافِث بن نُوح، قال: وصارت هذه الفهرسة عندهم أصلًا معتبرًا لكل من ملك منهم، يأتون بها إلى دار السلطان ويحملونها على رؤوسهم وهم يذكرون الله علانية، وتوضع بين يدي السلطان وشيخ الإسلام والقضاة والعلماء والوزراء فيتبركون بها، ويكتب شيخ الإسلام البيعة فيها، ويرفع نسبه إلى سُليمان، وفيها ذكر أشياخه الذين أخذ عنهم، ويضعون خواتمهم فيها ويردونها إلى محلها"[1].

وكان النَّاصِر لدين الله شاعرًا وله شعر مبثوث في بطون كتب التاريخ ومن شعره: ما جاء في جوابه للملك الأفضَل علي أَبِي الحَسَن الأَيوبِي: [2]

(البحر الكامل)

وَافى كِتابُكَ يا بنَ يُوسُفَ مُعلِنا ... بِالوِدِّ يُخبِرُ أَنَ أَصلَكَ طَاهِرُ

غَصَبوا عَلَيًّا حَقَهُ إِذ لَم يَكُن ... بَعدَ النَبي لَهُ بِطَيبَةَ نَاصِرُ

فابشِر فَإِنَّ غَدًا عَليهِ حِسابُهُمْ ... وَاصبِر فَناصِرُكَ الإِمامُ النَاصِرُ

---

[1] الكَتَّاني: فهرس الفهارس، 2 / 666-668.

[2] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 45 /124.

المبحث الثامن: مرضه ووفاتُه.

أُصيب النَّاصر لدين الله بأمراض تتعلق بالجهاز التناسلي في سنة 598هـ، فكان يتكون لديه حصى في المثانة وتعطل عنده إخراج البول بسبب هذه الحصى[1]. على الرغم من اعتنائه بنفسه وبمشربه؛ قال شَمسُ الدّين الجَزَرِي: "كان الماء الذي يشربه النّاصر تأتي به الدّواب من فوق بَغداد بسبعة فراسخ ويغلى سبع غلوات كل يوم غلوة، ثم يحبس في الأوعية سبعة أيام، ثم يشرب منه، ومع هذا ما مات حتّى سقي المرقد مرات، وشقّ ذكره، وأخرج منه الحصى ثم مات منه"[2].

وكان الخليفة النَّاصِر لِدين الله أصيب بضعف البصر وأدركه السهو، ولم يشعر بهذا كله أحد من الرعية حتى الوزير وأهل الدار، ولما عجز عن النظر في القصص والإنهاءات[3]جاء بامرأة من النساء البَغدادِيات كانت تعرف بست النَّسيم وقربها حيث كانت تكتب خطًا قريبًا من خطه، وجعلها بين يديه تكتب له الأجوبة وشاركها في ذلك خادم اسمه تَاجُ الدِّين رَشِيق فصارت المرأة تكتب ما تريد في الأجوبة فمرة تصيب ومرة تخطئ[4].

وفي آخر سنتين من حياته أصابه الفالج وهو الشلل. قال ابن الأَثِير: بقي النَّاصِر لِدين الله ثلاث سنين عاطلًا عن الحركة بالكلية، وقد ذهبت إحدى عينيه والأخرى يبصر بها إبصارًا ضعيفًا، وأصابه مرض دُوسِنْطاريَا[5] مدة عشرين يومًا ثم مات"[6].

تشير المصادر التاريخيّة إلى أن وفاة الخليفة العباسي النَّاصر لدين الله أَحمَد كانت يوم الأحد في آخر يوم من شهر رمضان المبارك من سنة 622هـ، وقد بلغ من العمر تسعًا وستين سنة وشهرين وعشرين يومًا، حيث كانت مدة خلافته سبعًا وأربعين سنة إلّا شهرًا[7]، وتولى غسله

---

[1] مرض الناصر لدين الله بالرّمل، فتجمع في مثانته حصاة كبيرة، وطال مرضه واشتد ألمه، وطلب أمهر الأطباء والجراحين في زمانه وكلهم قالوا بأن يشق المثانة لإخراج الحصاة، إلّا أبو نصر المسيحي، أخذ أبو نصر في مداواته، فسقاه ودهن العضو بالأدهان والمليّنات، وبعد ثلاثة أيام رمى الحصاة، وكان وزنها سبعة مثاقيل وقيل خمسة مثاقيل، ينظر: ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 9 / 462-464.

[2] ابن الجوزي: مرآة الزمان، 22 /274-275.

[3] **الإِنْهَاءات:** مفردها الإِنْهَاء وهو ما يكتبه الوزير ونائب الوزارة إلى الخليفة من شؤون الدولة فينتهي إليه ويطلع عليه فيرتضيه ويمضيه أو يرفضه فيمنعه، ابن الساعي: الجامع المختصر، 9 / 260.

[4] ينظر: أحلام النقيب: عصر الخليفة الناصر لدين الله، ص107.

[5] **دُوسِنْطاريَا:** (وهو مرض عدم استطاعة التبول)، عَلوي السقاف: الموسوعة التاريخية، 5 / 298.

[6] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 10/ 398-400؛ ابن كثير: البداية والنهاية، 13 / 125.

[7] ينظر: أبو الفداء: المختصر، 3 /135؛ أَبُو اليُمْن العُلَيمي: الأنس الجليل، 1 /405.

وتكفينه مُحْيي الدّين بن الجَّوزِي، وصلّى عليه ولده الظَّاهِر بأمر الله بعد أن بويع بالخلافة[1]. ودفن في دار الخلافة، ثم نقل تابوته إلى ترب الرَّصَافَة في ثاني يوم من شهر ذي الحجة من هذه السنة، وكان يومًا مشهودًا[2].

وخلف بعده ابنه الظَّاهِر لدّين الله فبويع بالخلافة يوم عيد الفطر سنة 622هـ، وكان الوزير وأُستاذ الدار وأرباب الدولة لبسوا ثياب العزاء، ثم توجهوا إلى جامع القصر، وجلسوا للعزاء وقراءة القرآن، وأنشد الشعراء المراثي في الخليفة النَّاصِر لِدين الله، ثم قرأ مُحيي الدّين بن الجَوزي على الناس في الجامع توقيعًا نسخته:

"{بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ} اعلموا أيها الناس–رحمكم الله–أنه حيث توفى الله تعالى الإمام السعيد النَّاصِر لِدين الله أمير المؤمنين إلى فسيح جناته، وأفاض عليه ملابس رحمته ورضوانه، بعد أن جاهد في الله حق جهاده، وأدى الأمانة في بلاده وعباده، استخلف عليكم أشرف مستخلف، وأبرّ خليفة وأرأف، فنصح الأمة في اختياره، وقام في استخلافه بواجب شريف نظره واجتهاده، وهو سيدنا ومولانا الإمام الظَّاهِر بأمر الله أمير المؤمنين، ولد سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام، النَّاصِر لدين الله أمير المؤمنين، لا زالت أوامره مطاعة في جميع أقطار الآفاق، مستعلية على السبع الطباق"[3].

---

[1] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 45/ 11.

[2] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 10/ 398–400.

[3] ابن الدَّواداري: كنز الدرر، تاريخ بني أيوب، 7 /272–273.

الفَصْلُ الثَّانـي: عَوامِلُ ازدِهَارِ الحَيَاةِ الفِكريَّة والأدبِيَّة في عَهْدِ الخَليفة النَّاصر لدِين الله العَبَّاسِيّ.

المبحثُ الأَوَّل: دَورُ مؤسَّسة الخِلافَة.

المبحثُ الثَّانِي: مَوقِفُ الخليفةِ النَّاصِر لدِينِ الله من أهل العِلْمِ والأَدَب.

المبحثُ الثَّالث: أَعْمَالُ الخَليفة النَّاصِر لدِينِ الله العِمْرانيَّة.

المبحثُ الرَّابع: إحياءُ الفُتُوَّة.

المبحثُ الخَامِس: مجالس الخَليفة النَّاصِر لدِين الله العلميّة والأدبية.

الفَصْلُ الثَّاني: عَوامِلُ ازدِهَارِ الحَيَاةِ الفِكريَّة والأدبِيَّة في عَهْدِ الخَليفة النَّاصر لدِين الله العَبَّاسِيّ:

المبحثُ الأَوَّل: دَورُ مؤسَّسة الخِلافَة.

تولى النَّاصِر لدين الله الخلافة سنة ٥٧٥هـ، وكان توليه علامة فارقة في تاريخ الدولة العباسيّة خلال هذه الحقبة، فقد استطاع إنجاز مشروع تحرر الخلافة العباسيّة من تبعات السيطرة الأجنبية، ذلك المشروع الذي بدأه الخليفة المُستَرشِد بالله وأكمل جزءا منه المُقتَفِي لأَمر الله.

وقامت سياسة النَّاصِر على إصلاح البيت الداخلي– دار الخلافة– من خلال كفِّ يد كبار رجال الدولة ومنعهم من التدخل بمقدرات الخلافة وصلاحيات الخليفة، كانت الخطوة الأولى في سبيل ذلك تخلّص النَّاصِر من كبار رجال دولته الذين ورثهم من جملة تركة والده المُسْتَضِيء بالله، ثم بدأ سياسة داخلية واضحة المعالم كانت آليات اختيار رجال الدولة وكبار الموظفين أبرز معالمها، وقد قامت سياسة النَّاصِر في اختيار كبار رجال دولته على الولاء المطلق المقرون بالكفاءة الإدارية؛ لذا نجد أن الكثير مِمّن تولى المناصب العليا لم يكونوا من الفئة الخاصة، بل كانت قدراتهم هي التي أهلَّتهم لذلك.

وشهدت هذه الحقبة اهتمام مؤسسة دار الخلافة في إعادة ترسيخ مراسيمها، ومنها تولية كبار رجالات الدولة، وكان ذلك سببا في إعادة تفعيل عمل "دار التشريفات" التي تتولى الإشراف على ترتيب تلك المراسيم في دار الخلافة. كانت الترتيبات تستدعي أن يتوجه أصحاب المناصب: الوزير وقائد الجيش وأمير الحج إلى دار الخلافة، حيث تجري مراسيم توليتهم أمام حجرة الخليفة، بعد مشافهتهم بالتولية. أما أصحاب المناصب الأخرى: قاضي القضاة والمحتسب وشيخ الشيوخ، وأمراء المدن وكبار قادة الجند، إضافة إلى زعماء أهل الذمة من اليهود والنصارى فكانت تجري مراسيم تعيينهم في دار الوزارة بعد أن يشافههم الوزير بأمر الخليفة بتوليتهم[1].

تميز القرنان السادس والسابع الهجريّان بازدهار الحضارة فيهما، فقد اهتم الخليفة بِبَغداد وأمراء الدُويلات المستقلة بالمشرق بزيادة الموارد المالية للدولة، وتنظيم أوجه الإنفاق فيها، إذ أدركوا

[1] مُحَمَّد القَدَحات: الوظائف العليا في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله، ص81.

أن تعزيز دولهم لا يتحقّق إلا بتنمية موارد الثروة في دولهم وكياناتهم السياسية، وتحقيق الرخاء لرعيتهم، وتوفير سبل الأمن والاستقرار فيها، لذا فإنهم اعتنوا بأمور الزراعة وعملوا على إكثار المحاصيل فيها، ونظّموا وسائل الري في أرجاء دولهم.

ويرتبط بذلك انتعاش التجارة الداخلية، فقد نشطت حركة التبادل التجاري بين مدن العراق ومدن المشرق الإسلامي، بسبب إنشاء الطرق وتأمينها، الأمر الذي سهّل نقل البضائع بين بلدان الخلافة العبّاسيّة وغيرها من المناطق الأخرى.

وحين تنشط الزراعة ينشط الاقتصاد وذلك سيرافقه حركة علمية وأدبية، فقد ازدهرت هذه العلوم في بلاد العراق والمشرق الإسلامي، فاهتم كثير من الفقهاء والعلماء بالاشتغال بالعلوم الدينيّة واللسانيّة من قراءات وتفسير وحديث وفقه ونحو ولغة، ونبغ عدد آخر من العلماء بالعلوم التجريبية والكونية، وحفلت دار الخلافة العباسيّة وبلاط أمراء بلاد المشرق الإسلامي بنخبة مميزة من العلماء[1].

قام النَّاصِر لِدين الله بتوحيد الصف الداخلي في حكمه بعدة أساليب فنشر المؤاخاة بين أفراد رعيته من جميع فئات المجتمع، ووظف في بلاط دولته ذوي الكفاءة مما أعانه على تقوية دعائم خلافته.

وفتح في أيامه فتوحات كثيرة، واتسع ملكه جدا، واستولى على خُوزِسْتَان وكُرْدِسْتَان، وفتح كثيرًا من بلاد العجم، وقامت للدولة العبَّاسيَّة في أيامه حِشمة لم يكن مثلها موجودًا إلا في الزمن القديم قبل استيلاء الملوك على العراق[2].

---

[1] ينظر: عبد الله العجمي: الخليفة العباسي الناصر لدين الله العباسي وسياسته، ص2.

[2] ينظر: ابن واصِل: مفرج الكروب، 2 / 90-92.

المبحثُ الثَّانِي: مَوقِفُ الخليفةِ النَّاصِر لدِينِ الله من أهل العِلْمِ والأَدب.

كان النَّاصر لدين الله على علاقة جيدة مع العلماء والأدباء، ففرض لهم الأعطيات والرواتب، وأوكل لبعضهم مناصب مهمّة في الدولة العبّاسيّة في زمنه، وكان حريصًا على حضور المجالس العلمية ومكرمًا للعلماء، وروايته للأحاديث، وفي هذا دلالة على أن النَّاصِر كان عالمًا ومحبًا للعلماء[1].

لقد كان الزمن الذي عاش فيه الخليفة النَّاصِر لدين الله متميّزًا علميًّا، سواء في المشرق أو في المغرب، فقد عاش في القرن السادس والسابع الهجريين، وهو قرن حافل بشخصيات علمية ومؤلفات رائعة في جميع الفنون.

ففي المشرق كان أشهر علماء ذلك الزمان أبناء الأَثْير، وابن الجَوزِي، والإمام أبو طالِب الكَرخِي، والإمام ضِياء الدّين أبو الفَضائِل ابن الشَّهْرُوزْدِي، وغيرهم من العلماء الكبار. وكان المستوى العلمي متميّز، إذ نجد العلماء الكبار، والفنون المتعددة، والمناظرات العلمية، واهتمام الأمراء بالعلم، وغير ذلك من صور الرقي العلمي.

وقد كانت هذه الحقبة من الزمن من الناحية العلمية والأدبية مزدهرة، فلم يتوقف البحث والتأليف بسبب الحروب والانقسامات؛ لأن الحكام كانوا يتنافسون في تقريب العلماء والشعراء والكتاب وتكريمهم، فبرز مؤرخون ونحاة وأدباء. وكان الخليفة النَّاصِر لدين الله قد جعل ديوانا خاصًا في الدولة يسمى (ديوان الشعراء)، وسمي الشعراء المثبتة أسماؤهم فيه (شعراء الديوان) أي ديوان الدولة العبّاسيّة[2].

وكانت بَغداد والمُوصِل ودِمَشق وحَلب والقَاهِرَة وغيرها من بلاد المسلمين زاخرة بالعلم والعلماء، ومن أكثر البلدان اهتمامًا بالعلم، وكثرت فيها المدارس، فقد كان في المُوصل ما يزيد

---

[1] ينظر: عبد الله العجمي: الخليفة العباسي الناصر لدين الله العباسي وسياسته، ص84.

[2] ينظر: أحلام النقيب، عصر الخليفة الناصر لدين الله، ص158.

على ستين مدرسة في تلك الحقبة منها: والأتابكيّة[1]، ومدرسة الجامع النوريّ[2]، والمدرسة النظاميّة بِبَغداد[3].

وكان العلماء من سائر الفنون متوافرين في بلاد المشرق، وهذه طائفة كانت في عصر الخليفة النَّاصر لدين الله العباسيّ، من أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع 575هـ-622هـ. ما منها إلا إمام يُعنى إليه، ويعتمد في علمه عليه، مثل:

1-الوزراء وكُتّاب الدواوين والقضاة وأعيان الدولة:

منهم: هِبَة اللَّه بْن مُحَمَّد بْن هبة الله بن البخاري، أبو المُظفر، من بيت علم وفضل، ابْنُ عم قاضي القضاة أَبِي طَالِب عليّ، تفقه عَلَى المذهب الشَّافعيّ، وكان بارعًا بعلم الكلام، ولَّاه الخليفة الناصر لدين الله نيابة الوزارة سنة(579هـ)، بقي فيها سنة واحدة إلى أن توفي فِي شهر محرم سنة (580هـ)[4].

وعِماد الدَّولة أبو الحَسَن، وهو: عَليّ بن أَحمد بن علي بن الدَامْغَانِي، البغدادي، وهو أوّل قاضي قضاه في عهد الخليفة الناصر لدين الله، وكان رجلًا جميلًا، متعففا، فقيها على المذهب الحنفي، وتولى قاضي القضاة في أيام المُقْتَفِي جَد الخليفة الناصر لدين الله، سنة (543هـ)، ولما بويع الناصر أقره على ولايته إلى أن مات، سنة (583هـ)[5].

وأَبو الفَضْل مُؤيد الدِّين بن القَصَّاب، وهو: محمَّد بن عليّ بن أَحمد، قدم بغداد واستُخدِمَ في الديوان، ثم ترقى إلى أن ولي الوزارة؛ وقرأ الأدب والنحو، مع النظم والنثر والبلاغة. وكان داهية وله خبرة بالأمور والحروب وفتح البلاد، أثنى عليه الخليفة الناصر لدين الله وقال عنه: "لقد أتعب الوزراء من بعده"، وتوفي سنة (ت592هـ)[6].

---

[1] **المدرسة الأتابكية:** بدمشق، أنشأتها بنت نور الدين أرسلان بن أتابك صاحب الموصل، والصواب أنها أخت أرسلان هذا وقال الذهبي في العبر في سنة(604هـ)، ينظر: النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، 96/1.

[2] **مدرسة الجامع النوريّ** بالموصل، أنشأها الملك العادل نور الدين محمود ابن زنكي بن أَقسَنقَر رحمه الله تعالى في سنة(563هـ)، ينظر: النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس، 466/1.

[3] ينظر: ابن الأثير: البديع في علم العربية، مقدمة التحقيق، ص15-16.

[4] ينظر: ابن الدبيثي: المختصر المحتاج اليه، 1/ 368.

[5] ينظر: ابن الفوطي: مجمع الآداب، 2/ 106.

[6] ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 6/ 139.

وابن يُونِسْ، وهو: عُبيد الله بن يُونس بن أَحمد، الأزجيّ، البغداديّ، أبو الظِفِر، جَلال الدّين، فقيه حنبلي، تفقه بأصول الدين، والحساب والهندسة، وصنف كتابًا في أصول الدين والمقالات، توكل لأم الخليفة، وعظم قدره، وولّاه الناصر لدين الله الوزارة سنة (583هـ)، وأرسله الخليفة لمحاربة طِغرِيل ابن أَرسَلان فانكسر عسكر الخليفة وأسر، ثم نجا، وعاد إلى بغداد، وولي الأستاذ دارية ثم حبس حتى مات، سنة (593هـ)[1].

وأبو الفَضائِل الشَّهْرُزُورْدِي، وهو: القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم، الشافعيّ، ضياء الدين قاضي القضاة، ولد في سنة (534هـ)، وتفقه في بغداد بالنظامية، ولي قضاء الشام بعد عمه قاضي القضاة كمال الدين، مدَّه ثم ولي القضاء، وكان ذا شأن عند الخليفة الناصر لدين الله، لكنه خاف الفتن فاستعفي وذهب إلى الموصل. وكان شاعرًا كريمًا. توفي في شهر رجب سنة (599هـ)[2].

والأمير أبو سَعيد، وهو: طَاشِتْكِينْ بن عبد الله التُركِي، المُستَنجِدِي، مملوك الخليفة المُسْتَنِجد بالله، كان شديد الولاء لبني العباس فتقدّم عندهم، وجعلوه أمير الحاج والحرمين، وحج بالعالم الإسلامي الشرقي ستًا وعشرين حجة، وتولى إقطاع الحلة، وكان عالما بالحديث النبوي، كادَ له الوزير ابن يُونس، فحبسه الخليفة الناصر لدين الله مدّة، ثم تبيّن له أنه بريء، فأطلق سراحه، وولّاه خُوزِسْتَان، وأعاده الى إمارة الحجّ، وكان شجاعا، صالحا، قيل إنه كان قليل الكلام حتى أنه يمضي عليه الأسبوع دون أن يتكلم، توفي سنة (602هـ)[3].

وعَليّ بن رشيد بن أَحْمد، الحَرْبَوِي، أَبُو الْحَسَن، كان مهتمًا بعلم الحديث وسماعه، وكان حسن الخط، وَصار وَكيل الخليفة النَّاصِر لدين الله، وَكَانَ شَيخا صَالحا، توفّي سنة (605هـ)[4].

والمُبارَك بن أَنوشْتْكِين بن عبد الله السَيدِي، أبو القَاسم، وكيل الخليفة الناصر لدين الله، كان عالمًا ثقة، فاضلًا، توفي سنة(607هـ)[5].

---

[1] ينظر: الذهبي: العبر، 3/ 107-108.

[2] ينظر: ابن العِماد الحنبلي: شذرات الذهب، 6/ 556.

[3] ينظر: ابن الفوطي: مجمع الآداب، 3/ 382.

[4] ينظر: ابن نُقْطَة: إكمال الإكمال، 2/ 130.

[5] ينظر: ابن نُقْطَة: إكمال الإكمال، 3/ 355.

والوزير ابن حَدِيدَة، وهو: سَعيد بن عليّ بن أَحمَد بن الحُسين، مُعز الدّين أبو المَعالي، الأَنْصاريّ، البغداديّ، المعروف بابن حَديدَة، وكان ذا مال وجاه، عينه الخليفة الناصر لدين الله وزيرًا له في سنة(584هـ)، وكان أبو الفَرج ابن الجَوزي يجلس للوعظ في داره، وكان سمحًا جوادًا، متواضعًا، وأثنى عليه ابن النجار، وقال: "كان جليلًا وقورًا، حسن السيرة، مشكورًا على الألسن، وكان مقربًا للعلماء والصلحاء"[1]، وتوفي سنة(610هـ)[2].

وأبو السَّعادات، وهو: محمَّد بن عليّ بن أحمَد بن النَاقِد، شيخ جليل، وتاجر بغدادي، سمع من: ابن عَساكِر البَطائِحِي، وغيره، وسافر إلى الشَّام، وخَراسَان، وغيرها، وعاد إلى بَغْدَاد وتولى وكالة الباب الشريف لوالدة الخَليفة النَّاصر لدين الله، في سنة (582هـ)، وخلع عليه، وأضيف عليه بعد ذلك النظر في المظالم، وحسن حاله، وارتفع قدره، ثم عزل، وبقي على خدمة الباب الشَّريف إلى حين وفاته، وكلفته أم الخليفة بالنظر في أوقافها على الربط والمدارس والتربة والسبل والصدقات، توفي سنة (612هـ)[3].

وعَبد الله بن الحُسين بن أَحمَد بن عليّ، أبو القَاسِم، قاضي القضاة، كان من الأَعيان ومن أولاد قضاة القضاة والعلماء والأئمة، وكان حسن السيرة، نزيهًا عفيفًا متدينًا عالمًا بالمذاهب والخلاف، أديبًا، وكاتبًا، وأذن للشهود بالشهادة عنده، وعليه فيما يسجله عن الخليفة الناصر لدين الله، ثم عزل سنة (594هـ) ولزم منزله، ثم ذُكِرَ عند الخليفة الناصر لدين الله فأعاده سنة (603هـ) ونصبه قاضي القضاة، وسكن بدار الخلافة، وتوفي سنة (615هـ)[4].

ونَجاح بن عبد الله الشَّرابِي، وهو: أبو اليُمن الحَبَشِي السُودانِي، ولَقبُه عَز الدّين مولى النَّاصِر لدين الله، كان كبير القدر معظمًا، وكان لا يفارق الخليفة، ويعتمد عليه، سُمي سلمان دار الخلافة لما توافر فيه من الصفات فقد كان دينًا، سَمْحًا، جوادًا، عاقلًا، يحب المساكين ويؤثرهم، وينصر الضعيف. توفي في الرابع من رمضان سنة (616هـ). حزن عليه الخليفة حزنًا عظيمًا، وتصدق عنه من ماله بعشرة آلاف دينار. وصلى عليه الخليفة بنفسه تحت التاج[5].

---

[1] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 43/ 368-369.

[2] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 286/10.

[3] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 44 / 170.

[4] ينظر: عَبْد القَادِر القُرَشي: الجواهر المضية، 1 /273-274.

[5] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 44 / 267.

وأبو المُظَفَر البَغداديّ، وهو: عَبد الوَدود بن مَحمود بن المُبارَك، كان فقيهًا، مدرسًا، وقال ابن النجار: "قرأ المذهب والأصول على والده حتى برع فيهما وقرأ الخلاف والجدل، وناظر الفقهاء، ودَرَّسَ بالمدرسة الثقتية عند باب الأزج"[1]، وقام على السبيل الذي خصصه الخليفة الناصر لدين الله للفقراء والمشاة بطريق مكة المكرّمة، ثم ولي وكالة الشؤون المالية للخليفة النَّاصر لدين الله في شوال سنة (606هـ)، وكان حسن الأخلاق، توفي سنة (618هـ)[2].

ومُؤَيد الدِّين القَمِي، وهو: مُحمَّد بن محمَّد بن عَبد الكَريم بن بَرْز، أبو الحَسَن، كان كاتبًا بليغًا، ذو هيبة ووقار، قَدِمَ بغَداد وتقرب من الوزير ابن القَصَّاب، ودخل الديوان. ويقال: إن ابن القَصَّاب وصفه للخليفة النَّاصر لدين الله، فحصلت له مكانة عنده. وعينه كاتب الإنشاء في الديوان، ثم ناب الوزارة، وحظي بقدر عالٍ، حتى إن النَّاصر كتب بخطه: "القَمِي نائبنا في البلاد والعباد"، وزاد قدره في حكم الظَّاهر، ولكنه سُجن مع ابنه سنة(629هـ)، وتوفي سنة (630هـ)[3].

والقاضِي ابن فَضْلان، وهو: مُحمَّد بن يَحيَى بن فَضْلان، أبو عَبد الله، المُلَقَّب مُحْيي الدّين، كان فقيهًا شافعيًا، عالمًا في المذهب والأصول والخلاف، والمنطق، سمحًا جوادًا، دَرَّسَ بعد أبيه بمدرسة دار الذهب[4]، وكان كاتبًا بدار التشريفات، ثم تولى تدريس المدرسة النظاميّة والنظر في أوقافها، ثم قلده الخليفة منصب قاضي القضاة، وكان مسؤول ديوان الحِسبَة، والناظِر في أوقاف المدارس والأَربِطَة، وبقي على ذلك إلى أن توفي الخليفة النَّاصر لدين الله، حكي عنه: أنه كتب للخليفة النَّاصر لدين الله لمّا كان يتولى الديوان رقعة طويلة؛ في مضاعفة الجزية على أهل الذمة، وقال: "يجوز أخذها منهم فوق الدينار إلى المائَة حسب امتداد اليد عليهم"[5]. توفّي في شهر شوّال من سنة (631هـ)[6].

والقاضي الأَشْرَف، وهو: أَحمَد بن عَبد الرَّحِيم بن عليّ، بَهاء الدِّين، أبو العَبّاس، ابن القاضي الفاضِل عَبد الرَّحيم البِيسانِيّ، برع في الفقه وغيره من العلوم، وقال الشعر، ودرّس في

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية، 97/13.

[2] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 44/ 411.

[3] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام ،45/ 408-409.

[4] **مدرسة دار الذهب:** من المدارس المشهورة ببغداد وتعرف بمدرسة فخر الدولة أبي المظفر ابن المطلب، بِعَقدِ المُصطَنَع، ينظر: ابن الدبيثي: المختصر المحتاج إليه، 2/ 172.

[5] ينظر: ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، 1/ 17-19.

[6] ينظر: ابن السَّاعي: الدر الثمين، 1/ 157-158.

مدرسة أبيه بالقاهرة، وكان مقدّمًا عند الملك العادِل أبي بَكر بن أيّوب في رتبة الوزراء. ثمّ تخوّف من الصاحب صَفيّ الدين عبد الله بن عليّ بن شُكُر، وفرّ إلى بغداد وتشفّع بالخليفة النَّاصر لدين الله، وأحضر كتابه إلى الملك العادِل بالشفاعة فيه فقبلها وأكرمه إلى أن مات. كان رسولًا له إلى الديوان العزيز ببغداد عدّة مرات. فقدمها في أيّام الخليفة النَّاصر والمُسْتَنصِر، وكانا يحترمانه لذاته ولأبيه، وأجازه الخليفة بعشرة آلاف دينار، توفي سنة (643هـ)[1].

وسِبْط ابن الجَوزِي، وهو: أبو المُظَّفَر مُحيي الدّين يُوسُف بن عَبد الرَّحمَن بن عَليّ القُرَشِي التَيمِيّ البَكرِيّ البَغدادِيّ، فقيه حنبليّ، ولاه الخليفة النَّاصِر لدين الله حسبة بَغداد وأنعم عليه إنعامًا عظيمًا، وولي أستاذية الدار للخليفة وراسل ملوك الأقاليم وكان وجيهًا واعظًا، وكان عالمًا بالتفسير والحديث والفقه ونظم الشّعر. له عدة تصنيفات في الخلاف والجدل والمذهب والوعظ، وقرأ القرآن الكريم بالقراءات على أبي بَكِر الباقِلانِي وله كتاب مطبوع سَماه "مَعادِن الأبريز في تَفسِير الكِتابِ العَزِيز"، توفي سنة (ت656هـ)[2].

2-المدرّسون والمحدّثون والوعّاظ:

ومنهم الشَيخ أبو النَّجيب السُّهْرَوَرْدِي[3]، وهو: عَبد القَاهِر بن عَبد الله بن مُحمَّد، البَكرِيّ نسبه إلى أَبي بَكر الصِّديق، رضي الله عنه. فقيه صوفي واعظ، وُلد سنة (490هـ)، جاء بَغداد وهو شاب وسمع بها الحديث واشتغل بتدريس الفقه، وبني له بِبَغداد رباطات للصوفية من أصحابه وولي المدرسة النظاميّة ببغداد، توفي عام (563هـ)[4]، عاش في خلافة والد الناصر لدين الله.

وأبو طَالِب الكَرْخِي، وهو: المُبارَك بن المُبارَك، شَيخ الشَافِعِيَّة في وقته ببغداد وصاحب الخط المنسوب، دَرَّسَ بالمدرسة النظاميّة، وكان عالمًا وعاملًا ذا نُسك وَوَرَع، أَجادَ الكتابة حتى

---

[1] ينظر: المَقْرِيزي: المقفى الكبير، 1 / 302-303.

[2] ينظر: اليونيني: ذيل مرآة الزمان، 1/ 332-335.

[3] **سُهْرَوَرْد**، هي: بلدة قريبة من زنجان بالجبال، (في شمال غربي إيران اليوم)، خرج منها جماعة من الصالحين والعلماء، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، 3/ 289-290.

[4] ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 20/475-479.

قيل: هو أكتب من ابن البواب، ثم اشتغل بالفقه فبلغ في العلم الغاية[1]، علَّم ولديّ النَّاصر لدين الله فرفع مراتبه، وتوفي في ثامن من ذي القعدة سنة (585هـ)[2].

والفقِيه ابن البَقّال، وهو: مُحمَّد بن إسماعيل بن عُبيد الله بن وَدَعَة، البغداديّ، الشافِعيّ، عِزّ الدّين، أبو عَبد الله[3]، مُعيد النظاميّة فقيه مُتميّز؛ تفقه في المذهب الشافعي والخلاف، وكان يجيد الجدال، وصنف كتاب مطبوع "المُقْتَرَح فِي المُصْطَلَح" في علم البندق وطرائقه ومعرفة أصوله ومذاهبه، صنفه للخليفة الناصر لدين الله، توفي سنة (588هـ)[4].

وفَخْرُ الدَّين أبو عَبد الله النُوقانِي، هو: مُحَمَّد بن أَبِي عَليّ بن أَبي نَصر، الفَقيه الشَّافِعِي، قدم بَغداد، وكان شيخًا مهيبًا، عالمًا في التفسير، والفقه، والجدل، والمنطق، والمناظرة، مع ما هو عليه من العبادة والصلاح، درَّسَ في المدرسة النظاميّة، وأتاه طلاب العلم، وتتلمذ على يديه جماعة[5]، ثمَّ وظفته والدة الخليفة النَّاصر لدين الله في مدرستها مدرسة الشافعيّة وجعلته مدرسها، وحضر دروسه أعيان الدولة وكبراؤها، توفي سنة (592هـ)[6].

والفَقيه أبو عَبد الله الجِيلِي، وهو: عَبد الوَهاب بن الشَيخ عَبد القَادِر بن أَبي صَالِح، البَغداديّ، الأَزَجِي، الواعظ الحنبليّ، ولد سنة (522هـ) وتتلمذَ على يد فقهاء بغداد ومنهم والده، ودَرَّسّ بعده بمدرستهم، وحدّث ووعظ وأفتى وناظر، وتراسل من الديوان العزيز. وكان أديبًا ظريفًا، ولَّاه النَّاصر لدين الله القضاء في المظالم، وبنى تربة الخَلّاطِيّة، توفي في شوال سنة (593هـ)[7].

وعَليّ بن عَليّ بن سَعادَة الفَارِقِي، أبو الحَسَن، الفَقِيه الشَّافِعِي، بِبِغْداد، كان معيدًا بالنظاميّة لمدة طويلة، وصار مدرسًا بالمدرسة التي أحدثتها أم الخليفة الناصر لدين الله، وكان صالحًا، ولي القضاء ببغداد، فامتنع، فألزم بذلك، توفي في شهر ذي الحجة من سنة (602هـ)[8].

---

[1] ينظر: ابن العِماد الحنبلي: شذرات الذهب، 6/ 466.

[2] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 41/ 229-230.

[3] ينظر: ابن الفوطي: مجمع الآداب، 1/ 294-295.

[4] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 41/ 308.

[5] ينظر: ابن الدبيثي: المختصر المحتاج إليه، 1/ 94.

[6] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 42/ 114.

[7] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 42/ 135.

[8] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 10/ 239.

أبو الفَضْل التُركِسْتانِي، وهو: أَحمَد بن مَسعود بن عَليّ، ضِياء الدِّين، فقيه حنفي، جاء بغداد وسكنها، سمع منه جماعة من الفقهاء، كان عفيفًا نزيهًا، تفقه وبرع في علم النظر، وعَمِلَ رسولا للديوان، ثم في سنة (604هـ) عُيِّنَ مدرسا بمشهد أبي حنيفة بباب الطاق في بغداد، وأوكل إليه النظر في أوقافه ورئاسته، وخلع عليه، ثم أعطاه الخليفة الناصر لدين الله الإجازة، وكان يروي عنه في حلقة الحنفيّة بجامع القصر الشريف في كلّ جمعة، توفي سنة (610هـ)[1].

أبو بَكِر التِبْريزي، وهو: عَتِيقْ بن عَبد اللَّطيف التِبْريزيّ، كَمَال الدّين، الحافظ الواعظ. كان من كبار العلماء، وأجاز له الناصر لدين الله أن يروي عنه كتاب "روح العارفين"، وكتب له الإجازة سنة(613هـ)[2].

ورِزْق الله بن هِبَة الله بن مُحمَّد القِزوينِي، الحنفيّ، أبو البَركات، ولقبه ابن سِفرويه، من أهل أَصْبَهان في فَارِس، وهو من عائلة مشهورة بالعلم والفضل، جاء بغداد حاجًا في سنة (609هـ)، وطلب الإجازة من الخليفة الناصر لدين الله، فأجازه، وحدث عنه بِبَغْداد، توفي سنة (615هـ)[3].

وابو العَباس البَنْدَنْيجِي، وهو: أَحمَد بن أَحمَد بن كَرَم الحافظ المعدل، عني بالحديث وفنونه. وكان من أطيب الناس قراءة للحديث، وعُرف بمحدّث بغداد. وهو الذي أظهر إجازة الخليفة النَّاصر لدين الله في رواية الحديث. توفي في رمضان سنة (615هـ)[4].

وشَرَف الدِّين الإرْبِلي، وهو: أَحمَد بن مُوسَى بن يُونس، أبو الفَضِل، فقيه شَافِعي، وُلد سنة (575هـ) وتَفَقَّه على وَالِدِه، وكان إماما فقيهًا، مفتيًا، اختصر "الإحياء" للغزالي، وشَرَحَ "التنبيه" في الفقه وسماه "غنية الفقيه" بدمشق، وولي التدريس بمدرسة الملك المعظم مظفَر الدين بإرْبِل، ثم فوضت إليه المدرسة القاهريّة إلى أن توفي في سنة (622هـ)[5].

وأبو مُحمَّد الواعِظ، وهو: عَبد الرَّحمَن بن عَليّ، فقيه حنبليّ، تولّى رباط الزَوزَنِيّ، وروى عن الخليفة النَّاصر لدين الله بالإجازة، وحدّث بجامع القصر ببغداد، برع في الفقه والمناظرة والوعظ،

---

[1] ينظر: عَبْد القَادِر القُرَشي: الجواهر المضية، 1 / 125-126.

[2] ينظر: ابن الفوطي: مجمع الآداب، 4/ 192.

[3] ينظر: عبد القادِر القُرَشي: الجواهر المضية، 1/ 242.

[4] ينظر: الذهبي: العبر، 3/ 165.

[5] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام،45/ 94-95.

ووعظ بباب بدر في دار الخلافة، وشهد لدى قاضي القضاة نصر بن عبد الرزاق الجيلي وناب عنه في الحكم في حريم دار الخلافة، توفي سنة (626هـ)[1].

والقَاسِم بن القَاسِم بن عُمَر بن مَنصور الواسِطِي، أبو مُحَمَّد، مولده بِواسِط العِراق في سنة (550هـ)، أديب نحوي لغوي فاضل، وله شعر، انتقل من بغداد إلى حلب سنة (589هـ)، فأقام بها يدَّرِس أهلها علم النحو واللغة وفنون علوم الأدب، وصنّف تصانيف كثيرة منها: كتاب "شرح اللمع" لابن جني، وكتاب "رسالة فيما أخذ على ابن النابلسي الشاعر" في قصيدة نظمها في الخليفة النَّاصر لدين الله، وتوفي سنة (626هـ)[2].

وكَمال الدّين أبو القاسِم، وهو: عَبد الرَّحمَن بن مُحمَّد بن مَنصور ابن بَدِر بن سَعيد بن جَامِع، الواسطيّ، البرجونيّ، المدرّس، كان شيخًا، حسن السيرة، تفقّه على جمال الدين يَحيَى بن فَضلان، وغيره، ودرّس بمدرسة الأصحاب؛ المجاورة لتربة أمّ الخليفة النَّاصر لدين الله، سنة (604هـ)، وأجاز له الخليفة النَّاصر لدين الله، وتوفّي في رجب سنة (628هـ)[3].

والرَضِي الجِيلِي، وهو: سُليمان بن مُظَفَّر بن غَنائِم، أبو دَاود، الشَافِعي، درس الفقه ببغداد بالنظاميّة، ودَرَّسَ، وأفتى، وصنف، وبرع في المذهب. كان دينًا ورعًا، وحدث بالإجازة عن الإمام النَّاصر لدين الله، عرضت عليه المناصب ورفضها، توفي سنة (631هـ)[4].

وشِهاب الدّين أبو نَصر، وهو: عُمَر بن مُحَمَّد بن عَبد الله بن عَمّويه السُهْرَوَرْدِي إمام وقته، ولد في سنة (539هـ)، بِسُهْرَوِرِد ونشأ بها وجاء بغداد واستوطنها، ووعظ الناس وكان مقدما عند الخليفة الناصر لدين الله حتى جعله مقدّمًا على شيوخ بغداد، وتولى عدة ربط للصوفية، منها رباط الزَّوزَنِي ورباط المَأمُونيّة وبنى له الخليفة النَّاصر لدين الله رباطًا بالمَرْزَبانِيّة على نهر عِيسى وبنى إلى جنبه دارًا واسعةً وحمامًا وبستانًا يسكنها بأهله، وأرسله في الرسائل المعظمة وصنّف

---

[1] ينظر: ابن المستوفي الإربلي: تاريخ إربل، 2 / 526.

[2] ينطر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء، 5 / 2217-2218.

[3] ينظر: ابن الفوطي: مجمع الآداب، 4/ 176-177.

[4] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام،46/ 65.

كتابًا مطبوع سماه "عَوارِف المَعارف" وغيره، وروى الحديث عن عمّه أبي النَجيب وغيره، وتوفي سنة (632هـ) [1].

وابن أَبي الدَّم الحَمَوي، وهو: إبراهيم بن عَبد الله بن أَبي الدَّم، شِهاب الدّين، مُؤرخ من علماء الشافعيّة تفقه ببغداد وسَمِعَ بالقاهِرَة، ومن تصانيفه كتابه المطبوع "التارِيخ المُظَفَري"، وولي القضاء بِحَمَاة، وكان عالمًا في المذهب والأدب والتاريخ، سافر في صباه إلى بغداد واشتغل بالعلم، وخلع عليه الخليفة النَّاصر لدين الله، ورجع إلى حَماة وعليه خلعة الخليفة، توفي سنة (642هـ)[2].

والصَّاغَانِّي، وهو: الحَسَن بن مُحَمَّد بن الحَسَن بن حَيدَر، أبو الفَضائِل، اللّغويّ، العمريَ، سكن بغداد بجوار المدرسة النّظاميّة، وكان حسن الخُلق، ورعًا، وقورًا، عالمًا لغويًا وأديبًا فذًا، قدَّمه الخليفة الناصر لدين الله في سماع قوله وقبول شهادته، وذلك في سنة (617هـ)، وأنفّذه رسولًا إلى زعيم الهند، فأقام هناك سنتين، ثم عاد، وقد بلغ عدد مؤلفاته في الأدب خمسين مؤلفًا، ومن المطبوع منها: "كتاب تَكمِلَة العَزيزِي"، وكتاب "فِي الَتصرِيف"، وكِتاب "مَناسِك الحَجّ"، وكِتاب "مُجَمَّع البَحرين"، وكِتاب "التَّكمِلَة في اللّغة"، أجاد فيه، وكتاب "مَشارِق الأَنوار": في الحديث، جمع فيه صحيح البخاريّ ومسلم، وكان ينوب عن شيخ رباط المرزبانيّة، ثم عينه الخليفة المُستَعصِم بالله مدرّسًا بالمدرسة التّتشيّة[3]، وبقي على ذلك إلى أن توفي سنة (650هـ)[4].

وشِهاب الدّين الزِّنْجانِي، وهو: مَحْمُود بن أَحمَد بن مَحمود بن بِخْتِيار، أبو المَناقِب، وُلد: سنة (573هـ)، اللغويّ المفسر، من مشايخه: الإمام النَّاصر لدين الله وغيره، تفقه وبرع في المذهب والأصول، والخلاف، واشتُهِر، وولي الإعادة بالثِقَتِيَة بباب الأَزْج على نهر دِجْلَة بالباب الشَرقِي، وناب في القضاء، وولي نَظَر الوقف العام وارتفع شأنه[5]. وقال الذهبي: "كان من بحور العلم، له تصانيف"، استوطن بغداد درس بالنظاميّة ثم المستنصريّة، استشهد ببغداد على يد المَغول، سنة (656هـ) [6].

---

[1] ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، 1/ 21.

[2] ينظر: ابن واصِل: مفرج الكروب، 4/ 174.

[3] **التَّتشِيَة:** من مدارس بغداد المعروفة وتعرف أيضا بمدرسة خمارتيكن التّتشي، ينظر: ابن السَّاعي: الدر الثمين، 1/ 346.

[4] ينظر: ابن السَّاعي: الدر الثمين، 1/ 344-346.

[5] ينظر: ابن ناصر الدمشقي: توضيح المشتبه، 6 /238.

[6] وليد بن أحمد الحسين الزبيري وآخرون: الموسوعة الميسرة، 3/ 2583.

وسَيفُ الدَّين أبو النَّجيب هو: عبد القَاهِر بن مُظَفَر بن المُبارَك بن أَحمَد، البَغدادِيّ، أخذ العلم من والده بهاء الدِّين أبي الكَرَم. وكان بيده إجازة من الخليفة النَّاصر لدين الله، وكان حسن السيرة، كريم الأخلاق، توفي سنة (680هـ)[1].

3-الشعراء:

منهم: عِزّ الدّين أبو غالِب، وهو: مُحَمَّد بن لُؤي بن مُحَمَّد، القُرَشيّ، الشّاعر، كان أحد الشُّعراء المعروفين بخدمة الديوان العزيز، وله مدائح كثيرة في الخليفة النَّاصر لدين الله، توفي في رمضان سنة (583هـ)[2].

وسِبْط ابن التَّعاوِيذِي، هو: مُحَمَّد بْن عُبَيد اللَّهِ بْن عَبْد الله أَبُو الفتح الكاتب، وهو شاعر مجيد حسن النظم لَهُ ديوان شعر، وهو حفيد الزَّاهِد أَبِي مُحَمَّد بْن التَّعاوِيذِي وكان أَبُوهُ مَولَى لبني المُظَفَر اسمه نَشْتَكِين، توفي سنة (584هـ)[3].

وابن الأَقْسَاسِي، وهو: الحَسَن بن عَليّ بن حَمزَة بن مُحَمَّد، العلويّ الحسينيّ، أبو مُحَمَّد، كان بليغًا، أديبًا، نظم الشعر والنثر، سمع الحديث، وحَدَّثَ، وَوُلِيَ رئاسة نقابة العلويّين بالكوفة مدة، ثم ببغداد، توفي سنة (593هـ)[4].

وأبو عَلي الواسِطي، وهو: الحَسَن بن مُحَمَّد بن عَبدوس، جاء من واسط إلى بغداد، كان أديبًا شاعرًا عالمًا بالنحو واللغة، فطنا متواضعا ومدح الخليفة الناصر لدين الله، وتوفي سنة (600هـ)[5].

وأبو نَصر الدَّجاجِيّ، وهو: مُحَمَّد بن سَعد بن نَصر بن سَعيد، البغداديَ، كان فقيهًا حنبليًا، وشيخًا واعظًا، حسن الأخلاق، وشاعرًا وخطيبًا له خطب، وأشعار مدح بها الخليفة النَّاصر لدين الله، توفي سنة (601هـ)[6].

---

[1] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 50/ 357.

[2] ينظر: ابن الفوطي: مجمع الآداب، 1/ 287.

[3] ينظر: ابن الدبيثي: المختصر المحتاج إليه، 37/1.

[4] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 42 / 125-126.

[5] ينظر: ابن النجار: تاريخ بغداد وذيوله، 21/ 74.

[6] ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 5 / 157-158.

وابن النَّطرونِي، وهو: عَبد المِنْعِم بن عَبد العَزيز بن أَبي بَكر بن عبد المُؤمِن، القُرشيّ، العَبدريّ، أبو الفَضل. من أهل الإسكندرية، قدم بغداد واستوطنها، ومدح بها الخليفة النَّاصر لدين الله بعدة قصائد، وكان شاعرًا مجيدًا، وأديبًا وفقيهًا مالكيًا، عُيّنَ شيخًا برباط العميد بالجانب الغربي من بغداد، وناظرًا في أوقافه، ثم نفذ رسولًا من الديوان إلى يَحيَى بن عافِية المَيورقِي في بلاد المغرب، فأقام هناك مدة طويلة، فناب عنه في الرباط ابنه عبد العَزيز نائب عنه في الرباط، قدم بغداد، فعُيّن ناظرًا في المارستان العَضُدِي، وبقي إلى حين وفاته سنة(603هـ)[1].

وعَبد الوَاحِد بن عَبد الرَّحْمَن بن مَنصور بن أبي الفَرَج السَيسَنِي، أبو مُحمَّد، أصله من مصر، جاء بغداد، وسكن بالمدرسة النظاميّة، وكان حسن الأخلاق، وأديبًا فاضلًا، أجاد نظم الشعر، ومدح الخليفة النَّاصر لدين الله وكبار رجال الدولة، وأُثبت اسمه في ديوان الشعر، فكان ينشد في التهاني والتعازي، وينشد في مجلس الوزراء، توفي سنة (614هـ)[2].

وعِزّ الدّين أبو الفَضائِل، وهو: مُحمَّد بن الفَضل بن يَحيَى بن عَبْد الله، العلويّ، يعرف بابن حاجِب الباب، كان أديبًا فاضلًا، حسن السيرة، شاعرًا فصيحًا، وكان يقول الشِّعر ويمدح الخليفة الناصر لدين الله في المواسم، وكانت وفاته سنة (615هـ)[3].

وابن النَبِيه المَصرِيُّ، وهو: عَليُّ بن مُحمَّد بن يُوسُف بن يَحيَي، المعروف، كان من أَحسَن الشُّعراء المصريّين في زمانه؛ تولى بمصر ديوان الخَراج والحِساب، ومدح ملوكًا من بني أيوب والوزراء ومدح الخَليفَة النَّاصر لدين الله بعدة قَصائِد، ثم اتصل بخدمة المَلك الأَشرَف مُظَّفَر الدِّين أبي الفَتح موسى، وعُين في ديوان شعراء دولته؛ قال الملك الأَشرَف عند مَوتِه: "مات رَب القَريض" توفي سنة (619هـ)[4].

---

[1] ينظر: ابن النجار: تاريخ بغداد وذيوله، 16/ 88-91.

[2] ينظر: ابن النجار: تاريخ بغداد وذيوله، 16/142-144.

[3] ينظر: ابن الفوطي: مجمع الآداب، 1/ 323-324.

[4] ينظر: ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 3 / 226.

وأبو مُحَمَّد، البَغداديُّ، وهو: عَبد القَادِر بن إبراهِيم بن شُجاع بن بَقاء بن عَليّ بن عَرفَجَة، كان فقيهًا حنفيًا، عالمًا بالأصول، والخلاف، وله معرفة بالمنطق والفرائض والحساب وعلم القراءات، مدح الخليفة النَّاصر لدين الله، توفي سنة (622هـ) ببغداد[1].

وابن صَابِر المَنجَنيقي، وهو: يَعْقوب بن صَابِر بن بَركات، أبو يُوسُف، نَجم الدِّين، المَنْجَنِيقِي، كان محترفًا في صناعة السلاح خاصة صناعة المنجنيق، ألفَ كتابًا ضاع سماه "عُمدَةِ السَالِك فِي سِياسَة المَمَالِك"، ومَواضِيعُه تدور حول الفروسية، وأحوال الحروب، وحيلها[2]، وكان شاعرًا مجيدًا، فمدح الخلفاء والوزراء، وجمع شعره في ديوان ضاع سماه "مَغانِي المَعانِي"، وكانت له مكانة مرتفعة عند الخليفة النَّاصر لدين الله، توفي سنة (626هـ)[3].

وجَعفَر بن مَكِي بن عَليّ بن سَعيد، أبو مُحَمَّد البَغدادِي، فَقيه شَافعِيّ، قرأ الفقه والخلاف، وعلّم الأدب، وكان شاعرًا، وكان خازنًا بالخزانة الناصرية بالمدرسة النّظاميّة[4]، ومدح الخليفة النَّاصر لدين اللَّه، وارتفع قدره إلى أن صار حاجبًا، فجالس الخليفة النَّاصر لدين الله، وولّاه ديوان البريد، وقدّمه على الشّعراء في الإيراد. وقد صنّف كتابًا سمّاه "رَبِيع ذَوي الآداب"، وله كِتاب في المُوسيقى، وديوان شعر، توفي سنة(639هـ)[5].

4-الأَطِباء والعُلَماء:

ومِنهُم: أبو رَشيد الحاسِب، وهو: مُبشِّر بن أَحمَد الرازِي، بُرهان الدِّين، عالم مَوسوعِي برعَ في العلوم الفلكية والرياضية والحساب وخواص الأعداد والهندسة، وكان سياسيًا ومعلمًا متميزًا، تميز فِي أيام النَّاصر لدين الله فقرّبه واعتمد عليه فِي اختيار الكتب الَّتِي وقفها بالرباط الخَاتُونِي السَلجُوقيّ وبالمدرسة النظاميّة، بعثه الخليفة النَّاصر لدين الله، رسولًا إلى الملك العادِل أبي بَكر

---

[1] ينظر: ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 3 / 29.

[2] ينظر: الذَّهَبي: سير أعلام النبلاء، 22 / 309-310.

[3] ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، 7 / 38.

[4] ينظر: ابن المُلَقِّن: العقد المذهب، 1/ 545.

[5] ينظر: ابن السَّاعي: الدر الثمين، 1/ 316-317.

ابن أَيوب، اجتمع به بِنُصَيبِين، صنف كتاب "الفَرائِض على مَذهب الشَافعي وَمالِك"[1]، توفي سنة (589هـ)[2].

وعَبد اللَطيف بن يُوسُف بن مُحَمَّد بن عَليّ البَغدادِيّ، ويعرف بابن اللَباد، مُوفَق الدّين، أبو مُحَمَّد، عالم كبير، فاضل، كان له الكَثير من التصنيف في جميع العلوم، تميز في النحو واللغة العربية، والطب، واشتهر عند الخلفاء، وكانت له منزلة عالية عند الخليفة النَّاصر لدين الله، وكانت أخباره في حياته وأشعاره تنقلها الرواة عنه، توفي سنة (629هـ)[3].

وابن أَبي الخَير المَسيحي هو: سَعيد بن أبي الخَير بن عيسى المَسيحِي، أبو نَصِر، ولقبه الكَرمَانيّ، الطبيب البَغدادي[4]، عالج الخليفة النَّاصر لدين الله العباسيّ، فقربه منه، من تصانيفه: "الإِقْتِضاب عَلى طَريقِ المَسأَلةِ والجَواب" في الطب، وكانت وفاته بعد سنة (658هـ)[5].

وابن أبي أصيبِعَة، وهو: أَحمَد بن القاسِم الخَزْرَجِيّ، الطبيب المؤرخ، صاحب "عُيون الأَنباء فِي طَبَقاتِ الأَطِباء". عاش في دِمَشق، ومن كُتُبه أيضا "التَجارِيب والفَوائِد" و "حِكايات الأَطباء فِي عِلاجات الأَدْواء" و "مَعالِم الأُمم" وله شعر كثير، توفي سنة (668هـ)[6].

---

[1] ينظر: إسماعيل باشا البابانى: هدية العارفين، 2/ 4.

[2] ينظر: القفطي: إخبار العلماء بأخبار الحكماء، 204/1.

[3] ينظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص38.

[4] ينظر: ابن السَّاعي: الدر الثمين، 1/ 392-393.

[5] ينظر: إسماعيل باشا البابانى: هدية العارفين، 1/ 391.

[6] ينظر: ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، المقدمة، ص1؛ الزركلي: الأعلام، 1/ 197.

المبحثُ الثَّالث: أَعْمَالُ الخَليفة النَّاصِر لدِينِ الله العِمْرانيَّة.

عندما تولّى الخليفة النَّاصر لدين الله الخلافة، قدّم فيها ما استطاع من أعمالٍ أدخلت السرور إلى أهلها، وأكدّ قدرته على حمل الخِلافة الإسلاميّة؛ فقد كانت فترة حكمه زاخرة بالأعمال التي سطّرت اسمه بين المجدّدين في أمّة الإسلام، فالأعمال العمرانية التي أنشأها هو وأفراد حاشيته؛ تدل دلالة واضحة على نشاط الحركة العمرانية وانتعاشها مدة خلافته. وسنستعرض هنا أهم الإنجازات العمرانية في عهده:

أما أعماله العمرانية فأهمها:

أولًا: عِمارَة المَساجِد:

كان من عادَةِ خُلفاء بني العَبّاس عمارة المسجد النبوي في المدينة المنورة، وذلك من خلال تعيين أمراء للمدينة، وتزويدهم بالمال والمواد اللازمة بذلك، وكان الخليفة الناصر لدين الله متبعا منهجهم في ذلك فقد كان في كلّ سنة يرسل من الذهب الخالص ألف دينار لعمارة المسجد، ويرسل أمهر النجارين والبنائين والعاملين من جميع المهن والحرف، ويأخذون موادهم من الديوان ببغداد، ويرسل معهم من الحديد والرصاص والأصباغ والحبال والآلات الشيء الكثير، حتّى تظل عمارة المسجد النبوي متواصلة ليلًا ونهارًا، وكان الناصر لدين الله يرسل من القناديل والسراج والشموع، كميات كبيرة للمسجد، ويرسل العود والند والبخور وغيرها؛ لتعطير المسجد، وكانت رسوم مصاريف المسجد النبوي الخارجة من الديوان لغير عمارته تصل إلى أربعة آلاف دينار للصدقات على أهل المدينة من العلويين وغيرهم، ويخصص من الثياب القطن ألف وخمس مئة ذراع لتكفين الأموات الفقراء من الغرباء، هذا عدا ما يُصرَفُ للخطيب وإمام الروضة وللمؤذنين وخدام المسجد[1].

" وقد ذكر ابن النجار قال: ولم يزل الخلفاء من بني العباس ينفذون الأمراء على المدينة الشريفة، ويمدونهم بالأموال لتجديد ما ينهدم من المسجد النبوي، فلم يزل ذلك متصلًا إلى أيام النَّاصر لدين الله، ولا تزال العمارة متّصلة في المسجد حتى إنه ليس به موضع أصبع إلا وهو عامر "[2].

---

[1] ينظر: الفاسي: شفاء الغرام، 2/ 441.

[2] السمهودي: وفاء الوفاء، 2/ 184.

أ-تجديد وبناء:

1. عندما تولى الخليفة الناصر لدين الله الحكم فإنَّ أول ما قام به هو إرسال ستارة كبيرة من الإبرسيم الأسود؛ فعلقت على حجرة قبر الرسول، صلى الله عليه وسلم، وبعث أكثر من أربعين قنديلا من الفضة المنقوشة؛ علقت في سقف المسجد الواقع بين القبلة والحجرة الشريفة[1].

-وبنى الخليفة النَّاصر لدين الله قبة لحفظ مقتنيات المسجد النبوي عام (576هـ)، وذلك عندما احترق المسجد النبوي في شهر رمضان سنة (654هـ)، ولم يسلم من الحريق سواها[2].

قال المؤرخون: "ولم يسلم سوى القبة التي أحدثها الناصر لدين الله؛ لحفظ ذخائر الحرم مثل: المصحف العثماني وعدة صناديق كبار صنعت بعد الثلاثمائة، وذلك لكون القبة المذكورة بوسط صحن المسجد وببركة المصحف الشريف العثماني"[3].

وبنى الخليفة الناصر لدين الله ميزابًا حول الكعبة، واسمه مكتوب عليه، وقد صُنِعَ من خشب مبطن بالرصاص، ومطلي من الخارج بالفضة في منطقة جريان الماء[4].

- وقام الخليفة الناصر لدين الله، في أثناء تجديد مسجد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بإغلاق الباب الخامس فيه؛ وهو باب يقابل باب أَسماء ابنَة الحُسَين بن عَبد الله بن عُبَيد الله بن العَبّاس، وقد سُدّ عند تجديد الحائط الشرقي، سنة (589هـ)، وحوّل دار أسماء المذكورة إلى رباط للنساء في ذلك الوقت[5].

وفي سنة (590هـ)؛ أنشأ الخليفة النَّاصر لدين الله بطلب من والدته زُمُرُد خَاتُونْ، في المسجد النبوي سقاية ضخمة، وحُفِرَ لها بئر، وكانت متصلة بحائط المسجد النبوي من جهة الشَّام، وكانت تُفتَحُ في موسم الحج[6].

---

[1] ينظر: الفاسي: شفاء الغرام، 2/ 457.

[2] ينظر: الفاسي: شفاء الغرام، 2/ 459.

[3] السمهودي: وفاء الوفاء، 2/ 152.

[4] ينظر: الفاسي: شفاء الغرام، 1/ 140.

[5] ينظر: ابن الضِّيَاء: تاريخ مكة المشرفة، 1/ 292.

[6] ينظر: ابن الضِّيَاء: تاريخ مكة المشرفة، 1/ 286.

2. مسجد الخِيف:

وقد أمر الخليفة النَّاصر لدين الله بترميم مسجد الخِيف[1] بِمِنَى في مكة المكرمة، بطلب من والدته زُمُرُد خَاتون، وكُتِبَ اسمها على بابه الرئيسي[2].

3. مسجد الطائِف:

وقد بنى الخليفة النَّاصر لدين الله منارة عالية الارتفاع في المسجد الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطائف؛ وهذا المسجد في منتصف المسجد المسمى بمسجد عَبد الله بن عَبّاس رضي الله عنهما، وتحت هذه المنارة بنى بئر ماء، وله قرابة الأربعين درجة للنزول فيه[3].

4. جامع مَعروف الكَرخِي:

لعل أهم مسجد بناه الخليفة النَّاصر لدين الله في فترة حكمه هو جامع الشيخ مَعروف الكَرخي: يقع في جانب الكَرخ من بَغْدَاد ودفن فيهِ الشيخ مَعروف الكَرخي سنة (200هـ)، ولم يبقَ من آثار الجامع شيء سوى المئذنة، حيث كتب على حوضها إنها: شيدت في عام 612هـ، في عهد الخليفة العباسيّ النَّاصر لدين الله. ومنارتهُ تعتبر من أجمل المنارات البغدادية العباسيّة ويعتبر في هندسة بنائه ونقوش جدرانه ومآذنه من أجمل مساجد بغداد وتحيط بالجامع مقبرة واسعة فيها قبر زُمُرُد خاتون أم الخليفة النَّاصر لدين الله[4].

ب- النُقوش والزَّخارِف:

ومما جاء في كتاب ابن جُبَير أن الخليفة النَّاصر لدين الله قد أمر ببناء ميزاب بديع الصنع على جدار من الرخام، قال: "وحفت بها طرة منقوشة نقشًا مكحلًا عجيبًا، فيه مكتوب: مما أمر بعمله عَبد الله وخليفَتِه أبو العباسّ أحمَد النَّاصِر لدين الله، وذلك في سنة ست وسبعين وخمس

---

[1] **مَسجِد الخِيف**، وهو: أحد مساجد مكة المكرمة، وسمي الخيف نسبة إلى خيف بني كنانة في سفح جبل منى الجنوبي، ينظر: الفيروزآبادى: القاموس المحيط، ص٨٠٩.

[2] ينظر: الفاسي: شفاء الغرام، 1/ 353.

[3] ينظر: ابن الضِّيَاء: تاريخ مكة المشرفة، 1 / 314.

[4] ينظر: طه الراوي: بغداد مدينة السلام، ص71.

مئة، والميزاب من صفر مذهب، ...، وتحت الميزاب في صحن الحجر بمقربة من جدار البيت الكريم قبر إِسْماعِيل، صلى الله عليه وسلم"[1].

وجاء وصف للكعبة المشرفة في رحلة ابن جُبَير؛ أثناء خِلافَة النَّاصِر لدين الله، أنه قام بتغطية سقف الكَعبَة المُشرَفَّة، بكساء من الحرير الملون، وكسا الجوانب الأربعة بستائر من الحرير الأخضر والقطن وفي أعلاها رسم بالحرير الأحمر، كُتِبَ عليه: «إنّ أوّل بيت وضع للناس للّذي ببكّة»[2]، وكتب اسم الخليفة النَّاصر لدين الله حولها، وقد نقشت على هذه الستور أشكال محاريب، ورسوم بذكر الله، تعالى، وبالدعاء للخليفة النَّاصر لدين الله، وأرسل الخليفة خمسة مصابيح، عليها زجاج عراقي بديع النقش، وجعل بين الأعمدة أكواس من الفضة، عددها ثلاث عشرة، وواحد من الذهب الخالص[3].

ثانيًا: الأَرْبِطَة[4]:

تُعَدُّ الأربطة واحدة من أهم مظاهر التحولات السياسية والعسكرية والعلمية وشواهدها التي شهدها التاريخ الإسلامي؛ وشهد عصر الخليفة النَّاصر لدين الله تحولات أساسية في بنية هذه الأربطة وفي مهامها ووظائفها، فبعدما كانت مجرد دار يسكنها عابرو السبيل، تحولت وظيفة الأربطة، وما حفلت به الأربطة من أنشطة علمية في مجالات العلوم المعروفة حينذاك، مثل: (علم الحديث، والفقه، والقراءات، والعلوم الأخرى)، وظهور المؤسسات العلمية في الأربطة مثل: (حلقات العلم، والكتاتيب، والمدراس)، ونشاط حركة التصنيف والتأليف في شتى العلوم، ومن ثم تحولت الأربطة إلى مراكز علميّة.

---

[1] ابن جبير: الرحلة، 1/ 57-58.

[2] الآية: 96، سورة: آل عمران.

[3] ينظر: ابن جبير: الرحلة، 1/ 54.

[4] **الرُبَط**، جمع رِباط، وهو: دار يسكنها أهل طريق الله. قال ابن سيده: الرباط من الخيل، الخمس فما فوقها. والرباط والمرابطة ملازمة ثغر العدوّ، ينظر: المقريزي: المواعظ والاعتبار، 302/4.

ومن الأَربِطَة التي بناها الخليفة النَّاصِر لدين الله:

1- رباط المأمونيّة:

بُني سنة (579هـ)، وافتتح في شهر شوال، وحضر افتتاحه والدة الخليفة النَّاصر لدين الله وأعيان رجال الدّولة وكبارها، وعُين شيخًا عليه شِهابُ الدّين السُهْرَوَرْدِي، ووُقِفَتْ عَلَيهِ الوقوفُ النّفيسة[1].

2- رباط الحَريم الظَّاهِري:

أمر ببنائه الخليفة النَّاصر لدين الله سنة (589هـ)، فبني غرب بَغداد على نَهِر دِجلَة، ونقل إليه كثير من الكتب النفيسة[2].

3- رباط المرزُبانيّة:

وبنى الخليفة النَّاصر لدين الله المرزُبانيّة[3]، بناه لأهل التصوف وبنى معه دارًا لهم، وعين الصَّاغَانِّي شيخًا لذلك الرباط[4].

ثالثًا: المَدارِس والمَكتَبات:

منذ بنى نظام الملك المدرسة النظاميَّة ببغداد سنة(459هـ)، تنافس الخلفاء والسلاطين والأمراء والعلماء والأثرياء على بناء المدارس، التي غالبًا سميت بأسمائهم أو أسماء المناطق التي بنيت فيها، وشاركت النساء في بناء المدارس حيث نجد كثيرًا من المدارس تنسب إلى زوجات الخلفاء والسلاطين وأمهاتهم، وكانوا يقفون على مدارسهم أوقافًا كثيرة لضمان استمرار عملها، ويختارون أفاضل العلماء للتعليم فيها وإدارتها.

ومن أهم المدارس التي أنشأها الخليفة النَّاصر لدين الله:

1- مدرسة أُم الخَليفَة:

---

[1] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 40 / 50.

[2] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 10/ 125.

[3] **المرزُبانيَة:** قرية ببغداد تقع على نهر عيسى، ينظر: مرتضى الزبيدي: تاج العروس، 2/ 496.

[4] ينظر: الرضى الصاغاني: التكملة والذيل، 1/ 137.

أو المدرسة الخاتونيّة، وهي نسبة لأم الخليفة زُمرُّد خاتُون أنشأها سنة(589هـ)، وجعلها للشافعيّة واختار للتعليم فيها كبار العلماء، وأهم من درّس بها أبو عَليّ النُوقانِي[1].

2- المدرسة السَيفِيَة الشَّافِعِيَّة:

وفي أيام الخليفة النَّاصر لدين الله قامت هذه المدرسة التي تقع غربي خَندَق القَلعة، في حَلَب، أنشأها الأمير سَيفِ الدِّين عَليّ بن سُليمان بن جَنْدَر، سنة (617هـ)، وكُتِبَ على حائطها الشرقي، شرط الواقف أن يُدعى للخليفة النَّاصر لدين الله[2].

رابعًا: المَكتَبات:

اهتم الخلفاء والسلاطين والعلماء المسلمون بإنشاء المكتبات في المساجد والمدارس وأوقفوا عليها أوقافًا كثيرة، وكان لأكثر هؤلاء مكتبات خاصة في قصورهم، وكان في المدن الإسلامية الكبيرة كثير من المكتبات، في بَغداد، ودِمَشق، وفي القَاهِرَة، وغيرها، وذكر ياقُوت الحَمَوِيّ أن عدد المكتبات في مَرُو بلغت في زمانه عشر مكتبات في الجوامع والمدارس أو في أبنية خاصة بها، وكان في مدينة سَاوَه[3] مكتبة عظيمة، وألحقت بالمدارس والمستشفيات مكتبات خاصة[4]. ومن أهم هذه المكتبات:

1-مكتبة دار المُسَنّاة:

وأشهر المكتبات التي أثرت في الثقافة، هي خزانة الكتب التي أنشأها الخليفة النّاصر لدين الله، وسماها دار المُسَنّاة، وعرفت في العصر الحديث بالقَصْرِ العَبّاسِيّ[5].

2-مكتبة المدرسة النظاميّة:

عمّر الخليفة النَّاصر لدين الله سنة (589هـ) خزانة كتب في المدرسة النظاميّة ببغداد؛ وكانت المكتبة النظاميّة إحدى أهم أربع مكتبات في بَغداد، وقد حرص الخلفاء والوزراء والعلماء

---

[1] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 41/ 91.

[2] ينظر: أحمد أبو ذر: كنوز الذهب، 1/ 316.

[3] سَاوَه: مدينة في إيران، بين الري وهمذان في الوسط، ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، 179/3.

[4] ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، 179/3.

[5] ينظر: أحلام النقيب: عصر الخليفة الناصر لدين الله، ص163.

على وقف الكتب على مكتبتها، بحيث وصل عدد الكتب الموقوفة عليها ستة آلاف مُجلّدٍ من الكتب الثمينة النادرة[1].

خامسًا: القُصور:

اهتم الخلفاء ببناء المدن والقصور، وقد بنى الخليفة النَّاصر لدين الله قصرًا واحدًا وجانبًا من دار الخلافة وهي:

1- قصر الأحمريّة:

الواقع في منطقة كُورَة الخالص في الجانب الشرقي من مدينة بَغداد[2].

2-دار الخِلافَة:

تقع شرقي بَغْداد، وهي مبنيّة منذ زمن، لكن درج الخلفاء على زيادة البناء فيها، فالخليفة النَّاصر بنى فيها عدة قصور بديعة، وبساتين وحدائق غناء، ومنتزهات جميلة، وكان يعتني بدار الخلافة موظفون كُثر مسؤول عنهم موظف كبير يلقب بالصاحب أستاذ الدار، وهو قلما يظهر[3]. وكان للشرقية أربعة أبواب: باب السلطان، وباب الظفريَّة، ويليه باب الحلبَة، ثم باب البصليَّة؛ وهذه الأبواب هي في السور المحيط بالشرقية من أعلى الشط الى أسفله، وأخذ شكل السور حولها كنصف دائرة مستطيلة. وكان داخلها أيضا في الأسواق أبواب كثيرة[4].

سادسًا: دور الضيافة:

وأنشأها في رمضان، سنة (604هـ)؛ غربي بغداد لتقديم طعام الإفطار لفقراء العاصمة وعابري السبيل فكانت تقدم لهم فيها لحم الضأن المطبوخ، والخبز الجيد، ووكّلَ عليها أُمناء، فكان يفطر فيها كلَّ ليلة خلقٌ كثير[5].

---

[1] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 10/ 125.

[2] ينظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، 4/ 355.

[3] ينظر: ابن جبير: الرحلة، 1/ 181-182.

[4] ينظر: ابن جبير: الرحلة، 1 / 184.

[5] ينظر: ابن الأثير: الكامل، 10 /266.

وفي سنة (605هـ)، أنشأ قسمًا آخر لدار الضيافة لتقديم الضيافة للحجاج وعابري السَّبيل، وكانت الدار تقدّم لكل حاج عند مغادرته الدّار ملابس ومتاعًا ودينارًا[1].

سابعًا: الحمامات:

من المعالم الحضارية في عصر الخليفة الناصر لدين الله وجود الحمامات في المدن العبّاسيّة فقد اهتم الخلفاء وأعيان الدولة المسلمون ببنائها والعناية بها لأهمية ذلك في المحافظة على الطهارة واهتموا ببنائها وزينتها.

وأما حمامات بغداد فكانت كثيرة العدد، "ذكر أحد أشياخ البلد أنها بين الشرقية والغربية نحو الألفي حمام، وأكثرها مطلية بالقار[2] مسطحة به، فيخيل للناظر أنه رخام أسود صقيل"[3].

---

[1] ينظر: ابن كثير القرشي: البداية والنهاية، 13/ 61.

[2] **القار**، هو: الزفت، شيء أسود يطلى به كالقطران، الزبيدي: تاج العروس، 521/35.

[3] ابن جبير: الرحلة، 1/ 183.

المبحثُ الرَّابع: إحياءُ الفُتُوَّة.

إنَّ من أبرز مظاهر سياسة الخليفة النَّاصر لدين الله إعادة تشكيل الفُتُوَّة[1]. فقد أحيا الخليفة الناصر لدين الله الفتوّة، وأطلق على نفسه لقب "كبير الفتوّات" ووضع لها القواعد والتقاليد الخاصّة بها، وذلك عبر إقامتها في إطار مؤسساتيّ لها مراسيمها من اللّباس "سراويل الفتوة"، والشراب "كأس الفتوّة"، وهو ماء وملح، وفنون الألعاب القتالية[2]. "وفي سنة 578هـ لبس لباس الفتوة الناصر لدين الله من شيخ الفتوة عبد الجبار، وبقي يُلبِسُ الملوك"[3].

أسباب إعادته تشكيل الفتوة:

ولعل من أهم أسباب إحياء الناصر لدين الله للفتُوّة أنه عندما تولى الحكم كان المجتمع منقسمًا على نفسه، حتى في أواسط العلماء الذين من المفترض أن يكونوا " الفئة الضابطة" لمسيرة المجتمع، فقد مال كلّ منهم إلى أتباع مذهبه؛ وهذا أدى إلى بروز قوى شعبية، تتقاتل وتتصارع لتحقيق أهداف خاصة بها، ما تسبّب في تشرذم المجتمع وعدم استقراره، رغم أنه في أمس الحاجة إلى الوحدة التي تضمن له تجديد قوته وشحن همته؛ لمقاومة خطر الإفرنج، وتمرّد بعض السلاطين والأمراء على الخلافة[4].

وتنظيم الفتوّة كان قد فقد الأهداف التي تشكل لتحقيقها، وتحوّل كثير من أعضائه إلى عامل شغب في المجتمع لا عامل استقرار، وظهرت في المجتمع جماعات العيارين والشطار واللصوص الذين كانوا يعيثون فسادًا في المجتمع من داخله ما زاد من معاناة الناس الذين بالكاد يحاولون صد العدو الخارجي.

---

[1] **والفُتُوَّة لغةً**، هي: فِتُوة: جمع فَتَى، والفُتُوَّة: حميَّة، مروءة، نجدة، كرم، ونظام الفتوّة: نظام ينمّي خُلُق الشجاعة والنجدة في نفوس الفتيان والفتيات، ينظر: المعجم الوسيط، 2 / 673.

[2] ينظر: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 261/6.

[3] الذهبي: العبر، 3/ 74.

[4] ينظر: صادق السوداني، العلاقات الخارجية للخلافة العباسية، مجلة المورد العراقية، مج2، ع4، ص86.

ولهذا كان من واجب خليفة المسلمين أن يعمل على توحيد الصف الداخلي لمجتمعه، فقام الخليفة برسم سياسته الجديدة؛ فبدأ بجمع العلماء من المذاهب والأطياف جميعها لتشكيل قوة داعمة ومساعدة له، ثم عمل على السيطرة على القوى الشعبية المختلفة ومنها الفتوّة[1]، بعد أن طوَّعَ زعماءَها، فقامَ عام (604هـ) بإصدار مرسوم خلافي يقضي بتوحيد هذه التنظيمات بمنظمة واحدة تحت إمرته، ينظمها ويضبط عمل أفرادها دستور، صاغه الفقيه ابن المِعمار والذي عرف بعهد " الفتوّة"؛ هَدفَ من ورائها مواجهة خصوم الخلافة ومقاومة التهديد والتسلط الخارجي، وقد انعكست تلك السياسة إيجابيًا على علاقاته مع الأقاليم الإسلامية، فأراد الخليفة أن يجدد شباب الأمة بهذه الفتوّة؛ لإحياء السنة الإسلاميّة والتقاليد العربيّة في العالم الاسلامي[2].

" وفي أيام النَّاصر لدين الله ظهرت الفتوَّة بِبَغداد، ورمي البندق، ولعب الحمام، وتفنن الناس في ذلك، ودخل فيه الأجلّاء ثم الملوك؛ فألبسوا الملك العادِل صاحب مصر ثم أولاده سراويل الفتوّة، ولبسه أيضا الملك شِهاب الدّين صاحب غَزنَة والهِند من الخليفة النَّاصر لدين الله، ولبسه جماعة أخر من الملوك"[3].

وفي عهد النَّاصر لدين الله استطاع عَبْد الجَّبار البَغداديّ أن يحوّل جماعة الفتاك الذين كانوا يرهبون الناس في بَغداد وينهبون الأموال إلى جماعة كبيرة للفتوة والبسالة، واتخذ لهم سراويل مخصوصة، وبذلك تحولوا إلى جماعة حربية، والتحق الكثير منهم بجهاد الصليبيّين في الشَّام مع الأيوبيّين[4].

وفي سنة (607هـ): وصلت رسل الخليفة الناصر لدين الله إلى ملوك الأطراف، بأن يشربوا كأس الفتوّة، ويلبسوا له سراويلها، وأن ينتسبوا إليه في رمي البندق، ويكون قدوة لهم فيه[5].

---

[1] **تنظيمات الفتوة وهي:** امتداد لحركات العيارين والشطار التي تمثل تكتلات شعبية لا تلتزم بنظام أخلاقي معين، ولا بعرف اجتماعي، حتى قام الناصر لدين الله بتنظيمها وتوحيدها في حركة واحدة هي الفتوة، ينظر: محمد النجار: حكايات الشطار والعيارين في التراث، ص 154.

[2] ينظر: محمد القدحات: الخليفة النَّاصر لدين الله العباسي وجهوده في توحيد الجبهة الداخلية، مجلة الدراسات التاريخية، مج 23، ع2، ص124.

[3] ابن تغري بردي: مورد اللطافة، 1/ 227.

[4] ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب، 5/ 240.

[5] ينظر: أبو الفداء: المختصر، 3/ 113.

شروط الفتوّة: للفتى شروطٌ هي:

وضع ابن المِعمار في الفتى ستة شروط وهي: الذكورية، والبلوغ، والعقل، والدين، واستقامة الحال، والأصل (المروءة)[1].

انتشار الفتوّة:

امتد نظام الفتوّة وانتشر في البيئات الإسلاميّة، وبقيت آثاره على مدى سنين عديدة، فإننا نجد الرحالة ابن بَطوطَة بعد عهد النَّاصر بقرنين من الزمن أي في القرن الثامن الهجري يتحدث عن جمعيات الفتوّة وانتشارها في بلاد الأَناضول، ويثني عليها ثناء حسنًا، وكانوا يسمون بالأخية الفتيان، ومن خلال ما سبق؛ نرى أن الفتوّة الإسلاميّة قد تطورت إلى نظام اجتماعي إنساني، وقد تغلغلت في البلاد الإسلاميّة وانتشرت بين الطبقات ، ولكنها آلت في نهاية الأمر إلى نظام الزوايا الذي وضعه الصوفيّة، ويظهر أنها تلاشت في هذا النظام على مر السنين[2].

[1] ينظر: ابن المعمار: الفتوة، ص163.

[2] ينظر: أحمد حسن الزيات: مجلة الرسالة، ع758، ص24-27.

المبحثُ الخَامِس: مَجالِسُ العِلمِ وَالأَدَبِ.

كان الخلفاء يعقدون مجالس علم وأدب ومجالس سمر وكانوا يحضرون مجالس وعظ وعلم عند كبار العلماء، فيناقشون فيها قضايا دينيّة واجتماعيّة وسياسيّة وأدبيّة، وأهم تلك المجالس:

1- مجالس العلم والأدب، التي عقدها الخليفة النَّاصر لدين الله، ومنها:

-مجلس عقده سنة(578هـ)، بعد شهر من وفاة والده، وحضره فخر الدولة بن عبد المطلب أحد كبار العلماء، والصاحب مجد الدين أستاذ الدار، وبهاء الدين صندل الخادم، وكل من اختص بديوان الخلافة من أرباب الدولة والأجناد، وتطرقوا في هذا المجلس إلى الحديث عن السياسة والحكم، وفي هذا المجلس تم تنصيب سليمان بن جاووش نائبًا للوزارة[1].

- ومجلس عقده سنة(578هـ)، أمر الخليفة بإحضار جماعة من الندماء والجلساء إليه وكان كثير الميل إليهم وكان منهم أبو الحسن بن الكَرْخِي فكان كثير الجلوس عنده لا يكاد يفارقه[2].

ولا شك أن هناك مجالس كثيرة، إذ كانت هذه المجالس غالبًا منتظمة تعقد في أيام وأوقات محدّدة.

2- مجالس السمر:

وكان الخليفة النَّاصر لدين الله يعقد في أوقات مختلفة مجالس سمر يحضرها ندماء الخليفة من الظرفاء والقصاص وفي أحيان معينة قيان ومغنون ومن ذلك: مجلس غناء دعا إليه نجاح الشَّرابي وابن الكَرخي ومُحمَّد بن يحيى الفرّاش، وغيرهم من كبار الأمراء والمماليك والجلساء، وأمر بإحضار نُويسَة المغنية، وعائشة السَوداء وتبسّط في مجلسه، وأثنى على غناء عائشة السوداء[3].

3- مجالس علم الحديث:

كان علماء الحديث يعقدون مجالس لقراءة الحديث وتفسيره، وكان الخليفة الناصر لدين الله يحضر مجلس حديث الشيخ أَحمد بن مَسعود التِرِكِسْتاني، الذي كان يعقده بجامع القصر الشريف

---

[1] ينظر: المَلِك المَنْصُور: مضمار الحقائق، ص13-14.

[2] ينظر: المَلِك المَنْصُور: مضمار الحقائق، ص84.

[3] ينظر: المَلِك المَنْصُور: مضمار الحقائق، ص89؛ محمد صالح: عودة الروح للخلافة الإسلامية، ص323.

كل يوم جمعة، وكان يلقي الدروس عنه أبو الفَرَج عبد الرَّحمَن بن شُجاع فيحضرها الخليفة، "ولم يكن الحديث من فنه إلا أنه شرفه الإمام الناصر لدين الله بالإجازة له وكان يروي عنه"[1].

4-مجالس عامة:

كان العلماء والأدباء والوعاظ يعقدون مجالس علم وأدب ووعظ، وكان الخليفة الناصر لدين الله يحضر بعضها، بل كان يطلب من الواعظ ابن الجَّوزي أن يعقد بعض مجالس وعظه في باب بدر لكي يستطيع حضوره في قصره، وكان الخليفة وأمه زُمُرُد خاتون يحضرون هذا المجلس، " ثم شاهدنا مجلسا ثانيا له، بكرة يوم الخميس الحادي عشر لصفر، بباب بدر في ساحة قصور الخليفة، ومناظره مشرفة عليه. وهذا الموضع المذكور هو من حرم الخليفة، وخص بالوصول إليه والتكلم فيه ليسمعه من تلك المناظر الخليفة ووالدته ومن حضر من الحرم، ويفتح الباب للعامة فيدخلون إلى ذلك الموضع، وقد بسط بالحصر، وجلوسه بهذا الموضع كل يوم خميس"[2].

"وذكر ابن المُستَوفي في تاريخ أربل أن مُحيي الدّين ابن الجَوزي تولى حسبة بغداد وعقد بها مجالس الوعظ، وقيل إنه كان يعمل في كل أسبوع قصيدة يمدح بها الخليفة النَّاصر لدين الله"[3].

وكان عَبد القَادِر البَغدادِيّ مقدّم الفتوّة، ومؤلف كتاب "الفتوّة" للخليفة النّاصر لدين الله يعقد مجالس للفتوّة يحضرها صهره الشيخ عقاب وكثير من العلماء وفي أحيان كثيرة كان يحضر هذه المجالس الخليفة وحاشيته[4].

آداب مجالس الخليفة:

ولهذه المجالس آداب يجب على الحاضرين الالتزام بها، ومنها عدم إذاعة ما يدور فيها بين العامة والخاصة فيروى أن: "في سنة (580هـ) شاع أن أبا الحسن بن الكرخي يذكر جميع ما يجري في خلوة أو مجلس ويتحدث بذلك في الأسواق، فنهاه الخليفة الناصر لدين الله عن ذلك"[5].

---

[1] عَبْد القَادِر القُرَشي: الجواهر المضية، 1 / 125.

[2] ابن جبير: الرحلة، 1 / 176-178.

[3] اليونيني: ذيل مرآة الزمان، 1 / 337.

[4] ينظر: المَلِك المَنْصُور، مضمار الحقائق، ص177؛ محمد صالح: عودة الروح للخلافة الإسلامية، ص323.

[5] عبد الله العجمي: الخليفة العباسي الناصر لدين الله العباسي وسياسته، ص94-95.

الفَصْلُ الثَّالث: صُورةُ الخَليفةِ الناصر لدين الله في الأدب.

المبحثُ الأَوَّل: صُورةُ الخَليفة في الشِّعْر.

المبحثُ الثَّاني: صُورةُ الخَليفة في النَّثر.

المبحثُ الثَّالث: مُقارَنَةٌ بين الصُّورتَين.

الفَصْلُ الثَّالث: صُورةُ الخَليفةِ الناصر لدين الله في الأدب.

درست في هذا الفصل صورة الخليفة النَّاصر لدين الله العباسيّ وظهرت في نماذج مختارة من الشعر والنثر الذي قيل في مدح الخليفة ووصفه، ثم قارنت بين الصورتين وذلك على النحو الآتي:

المبحثُ الأَوَّل: صُورةُ الخَليفة في الشِّعْر.

إنَّ الشعر الذي قيل في الخليفة العباسي الناصر لدين الله، رضي الله عنه، يُعد وثيقةً تاريخيّةً صادقة على عصره المزدهر، فقد خضَعت لسلطة الخليفة النَّاصر لدِين الله الملوك والسّلاطين في أنحاء الدولة العباسيّة، وازدهرت الحضارة الإسلامية في عهده من: فنون وعمارة، وانتشر عدله في أَرجاء الدولة، وهابه الملوك وأتوه خاضعين، وهذا مِمّا صوَّره الشّعر الذي قيل فيه، وقد خصّصت المبحث الأول لبيان صورة الخليفة في شعر عدد من الشعراء؛ ومنها: نسبه الشريف، وصورته فارسًا، وجوادًا، ومهيبًا، وإمامًا وقائدًا للجيوش، وغيرها.

ويظهر التشابه في الأوصاف لدى كثير من الشعراء، فقد مدح الخليفة الناصر لدين الله عشرات الشعراء سواء أكانوا في بغداد والعراق أم في بلاد الشَّام ومِصر والجّزيرة وخَراسان، وحتى في المَغرِب الإسلاميّ، وجاء مدحهم في مئات بل أكثر من القصائد والمقطعات وغالبًا كرّر الشّعراء الصفات والمحاسن التي مدحوه بها. وفي هذا الفصل سآخذ نماذج منها لكثرتها، وعدم قدرتي على الإحاطة بها.

وتمتّع الخليفة النِّاصر لدين الله بصفات خَلقية وخُلقية ورثها من أُسرته العباسيّة الشّريفة، وما حرصت عليه في تربية أبنائها الخلفاء والأمراء، وتميّز بها عن غيره من أسلافه الخلفاء، وقد لمسها أهل الأدب، فذكروها في مدائحهم له، وأَشادوا بها، ويمكن توضيح ذلك على النّحو الآتي:

أوَّلًا: الصفات الخَلقية.

اتّصف الخليفة الناصر لدين الله بجمال الصورة، وحسن المظهر، وكثير من الصفات الخَلقيّة، فوصفه الشعراء، وأشادوا بصفاته الحسيَّة، ومنها الوجاهة المتمثلة في بياض اللون وصفائه،

وذكر المظاهر الحسنة في الوجه، والخد، والعين، والشعر، والقامة، والخصر، واليد، وحتى اللباس. ويتضح ذلك من خلال شعر عدد من الشعراء ومنهم:

1- عَلِيّ بن مُحَمَّد، المعروف بابن النَّبِيه المِصريّ، (619هـ)، قال قصيدة وصف بها الخليفة الناصر لدين الله، وذكر صفاته الحسيّة[1]:

(البحر البسيط)

باكِرْ صَبوحَكَ أَهْنَى العَيشِ باكِرُهُ	**فَقَدْ تَرَنَّمَ فَوقَ الأيكِ طَائِرُهُ**
وَالَّليلُ تَجري الدّراري فِي مَجَرَّتِه	**كَالرَّوضِ تَطْفُو عَلى نَهْرٍ أزاهِرُهُ**
وَكَوكَبُ الصُّبحِ نَجَّابٌ عَلى يَدِهِ	**مُخَلَّقٌ تَمْلأ الدُّنيا بَشائِرُهُ**
فَانْهَضْ إلى ذَوبِ ياقُوتٍ لَها حَبَبٌ	**تَنوبُ عَنْ ثَغْرِ مَن تَهوى جَواهِرُهُ**
حَمْراءُ فِي وَجْنَةِ السَّاقي لَها شَبَهٌ	**فَهَل جَناها مَعَ العُنقودِ عَاصِرُهُ**
ساقٍ تَكَوَّنَ مِن صُبْحٍ وَمِن غَسَقٍ	**فَابْيَضَّ خَدَّاهُ وَاسوَدَّتْ غَدائِرُهُ[2]**
بِيضٌ سَوالِفُهُ لُعْسٌ مَرَاشِفُهُ	**نُعْسٌ نَواظِرُهُ خُرْسٌ أَساوِرُهُ**
كَأَنَّهُ بِسَوَادِ الَّليلِ مُكْتَحِلٌ	**أو رُكِّبَتْ فَوقَ صُدْغَيهِ مَحاجِرُهُ**
نَبِيُّ حُسْنٍ أَظَلَّتْه ذُؤَابَتُهُ	**وَقامَ فِي فَتْرَةِ الأَجْفانِ ناظِرُهُ**

لقد رسم الشاعر صورة تبرز جمال وجه الممدوح الصبوح المشرق، وكرم يده الذي يملأ الدنيا بشرى وأملًا، وشبه فمه وكأنه جواهر من ياقوت دليل حمرته، وخداه أبيضانِ تغطيهما جدائل شعره الأسود، وعيناه ناعستان ذابلتان، وقال خرساء أساوره؛ كناية عن السمنة والبدانة، أساوره لا تُحدث أصواتا عند تلاقيها من السمنة، وهو أكحل العينين، وكأنه سواد الليل، ويزيد الشاعر في

---

[1] ابن النبيه، الديوان، 91-94.

[2] **الغَدائِر**، هي: ضَفائِر الشعر، والجمائر، واحدتها ضفيرة وجميرة، ينظر: الزَّبيديّ: تاج العروس، 12/ 398.

وصف الناصر لدين الله من جمال صورته وكأنه نبي الله يوسف عليه السلام في حسن وجهه وشعره الطويل حتى ليصاب الناظر إليه بفتور في عينيه لشدة بياضه وبهائه.

ومن خلال ما تقدم رسم الشعر للخليفة النّاصر لدين الله، الصفات الخَلقيّة الحسيّة التي وصف بها، وبيّنوا ما هو جميل حسن، كجمال الطلة، والوجه، والخد، والعين، والشعر، والقامة، والخصر، واللباس، والهيئة.

ثانيًا: صفاتُهُ الخُلُقيَّة:

أما عن صفاته الخُلُقيّة فقد كثر الحديث عنها في المصادر التاريخية وكتب التراجم وكتب الأدب العربي؛ حيث تمتع الخليفة الناصر لدين الله بالأخلاق الإسلامية الحسنة الّتي كسبها عن أسرته العباسية الشريفة، فقد كان عالمًا بعلوم الشّرع، ولا سيما الحديث الشّريف، وزاهدًا متنسكًا بالحياة، وهو قبل ذلك خليفة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أي خليفة الله في الأرض إذ نشأ وكان متدينًا وصالحًا. وكان أديبًا وشاعرًا إذ نشأ محبًّا للعلم والأدب وأهله، وكان شجاعًا، مجاهدًا، عزيز النفس أبيّها.

أما في الحكم فكان عادلًا، شديدًا حازمًا ذا سطوة وقوّة، استطاع أن يعيد للخلافة هيبتها، فنثر عيونه في البلاد يأتونه بالأخبار في أسرع وقت، فكان يقظًا يعالج الأمور في وقتها، يعلم ما يجري في دولته، ويعرف أدق التفاصيل لا تفوته شاردة أو واردة، وقيل: إنه الرجل يخاف أن يُسِرَّ لزوجته بما إن علمه الخليفة عاقبه عليه. حتى قيل إنه كان له عمّال يعملون كعيون له يأتونه بأدقِّ التفاصيل والأخبار[1]، ولذلك كان متمكنًّا من الخلافة مستقلًا يتولى الأمور بنفسه[2]. وساعده على كل ما سبق ذكاؤه الشديد، وسرعة بديهته، ورزانته، وحسن تصرّفه في الأمور، وأنه كان صاحب دهاء ومكر، وقد مدحه الشعراء بذلك ومنه:

---

[1] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 87/45.

[2] ينظر: ابن واصِل: مفرج الكروب، 4 /163؛ الفاسي: العقد الثمين، 3 /18-19؛ المَقْرِيزي: السلوك،1 /340-341، وجاء: أن رجلا من أهل بغداد عمل دعوة وغسل يده قبل أضيافه، فوصل خبره للخليفة، فكتب الخليفة في جواب ذلك: سوء أدب من صاحب الدار، وفضول من كاتب المطالعة، ينظر: ابن الدَّوَاداري: كنز الدرر، 7 /271-272؛ اليافعي: مرآة الجنان، 4 /40؛ الطَّيب بامَخرَمة: قلادة النحر، 5 /105.

أولًا: نسبه الشريف:

أكثر الشعراء من مدح الخليفة الناصر لدين الله بنسبه الشريف، وانتمائه إلى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، عمّ رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، وأشادوا بهذا النسب، وذلك لترسيخ مكانته في وجه أطماع سلاطين الدولة العباسية وملوكها وأمرائها، ومن ذلك:

1- عَبْد المِنعِم العَبدَرِيّ، المعروف بابن النَطرونِي (ت603هـ)، قال من قصيدة مدح بها الخليفة، مشيدًا بنسبه الشريف[1]: (البحر الكامل)

خَيرُ الخَلائِفِ مِن آل النَبيّ إذا ... وَعَدوا وَأَطيَبُهُم ذِكرَا إِذا ذُكِروا

الوَاجِبِ الأَمرِ فِي نصِ الكِتابِ عَلى ... كُلِ البَرِيَةِ إِن غَابُوا وَإِن حَضَرُوا

وَالحَائِزِ الفَخرِ إِرثًا كُلَّما سُرِدَت ... حِسابَ أَحسابِها عَدنانُ أَو مُضرُ

في الأبيات السابقة فَضّل ابن النَطرونِي الخليفة الناصر لدين الله على جميع آل النبي ومن هم من قبيلة عَدنان ومُضر، وفي ذلك تعظيم لقدره وأصله، فهو خير خليفة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم، وأطيبهم سمعة، وطاعته واجبه على المسلمين بأمر الله سبحانه حيث قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (النساء:59). وهو ينتمي إلى أفضل قبائل العرب.

2-أَحْمَد بن جَعْفَر، أبو الفَضِل الوَائِلِيُّ الهِيتيُّ[2]، قال من قصيدة مدح بها الخليفة في نسبه الشريف: قال[3]: (البحر الكامل)

وَضَعت بَنو العَبَّاسّ أسًّا لِلعُلا ... فَرقَى أَبو العَبَّاسّ فِيهِ وَشَيّدا

---

[1] ينظر: ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد، 16/ 89-90.

[2] **أبو الفضل الوائليُّ الهيتيُّ، هو:** أحمد بن جعفر بن أحمد بن محمود بن هاشم، ولقبه الحائِك، وهو شاعر مجيد، خفيف الظل، قدم بغداد، ومدح الناصر لدين الله، ومن بعده من الخلفاء، والأمراء وغيرهم. وهو صاحب الكتاب المسمى بـ "الانتصار لآل شِيث على ذَوي الابن والمَخانِيث"، ينظر: ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 1 /278.

[3] ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 1 /281.

كَلأ العِبَادَ بِرَأفَةٍ نَبَوِيَّةِ مُضَرِيّةِ الإِطْرَاقِ سَامِعَةِ الصَّدَى

وَرَعَاهُمُ مِنْها بِعَينٍ جَفنُها فِي حِفظِ جَنْبِ اللهِ باتَ مُسَهَّدا

للهِ دَرُّكَ يا ابنَ عمِّ مُحمَّدٍ لَقَدْ اِرْتَدَيتَ مِنَ الفَخَارِ...

وَنَصَرتَ دِينَ اللهِ ثُمَّ أَقَمْتَهُ فَلْيَهن مَا فَعَلْتَ عَلَاكَ مُحَمَّدا

يؤكد الشاعر الوائِليُّ في مدحه للخليفة النَّاصر لدين الله دوره المميز في سلسلة حلفاء بَني العَباسّ، فهو رفع من شأن الخلافة عاليًا، ورعى الرعيّة بأحكام الله فبث فيها العدل، ولا غرو في ذلك فهو ابن عمّ الرسول، صلى الله عليه وسلم، ورث عنه صفاته وأخلاقه وهو ناصر الإسلام والمسلمين حتى أن الرسول، صلى الله عليه وسلم، يفخر به في جنات الخلد.

4- المُظَفَّر بن الفَضْل، أبو عَلِيّ المُظَفَّر المُوصِلِي[1]، قال من قصيدة يمدح بها الناصر لدين الله[2]:

(البحر الكامل)

يا ابن الصَّفا وَالمَروَتَينِ وَمَن لَهُ مَعنَى الرَّشِيدِ وَصُورَةَ المُسْتَرشِدِ[3]

لَكَ مِن أَبْيكَ المُسْتَضيءِ مَراحِمُ وَعَزائِمُ مِن جَدِّكَ الُمسْتنْجِدِ[4]

---

[1] **أبو عَليّ المُظَفَّر المُوصِلي، هو**: المظفر بن الفضل بن يحيى، العلوي الحسيني، أبو علي بن أبي القاسم، ولد بالموصل، سنة (584هـ)، قرأ الأدب وحفظ أشعار العرب، وهو شاعر مجيد، تميز شعره، وسمع الحديث، ينظر: ابن الدمياطي: المستفاد من تاريخ بغداد، 174/21.

[2] ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 5 / 180.

[3] **المُسْتَرشِد بِالله، هو**: الفضل ابن أحمد (المستظهر بالله) الهاشمي العباسي، أبو منصور، من خلفاء الدولة العباسية، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه سنة 512 هـ، كان عالي الهمة شجاعًا، فصيحًا، بليغ التوقيعات، له شعر جيد، وهو الخليفة التَّاسِع والعُشْرُون من خُلفاء بَني العبَّاس، (ت: 529هـ)، ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 561/19؛ الزركلي: الأعلام، 5/ 147.

[4] **المُسْتَنجِد بِالله، هو**: يوسف بن محمد (المقتفي) بن المستظهر، أبو المظفر العباسي، من خلفاء الدولة العباسية ببغداد، بويع له بعد وفاة أبيه، سنة 555 هـ فأزال المكوس ورفع الضرائب عن الناس، وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع رعيته، (ت: 566هـ)، ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 413/20؛ الزركلي: الأعلام،8/ 247.

يمدح الشاعر هنا الخليفة في نسبه العباسي الشريف، فهو القائم بدين الله العابد المتنسك بين الصفا والمروة وتلك صفات ورثها عن أجداده هَارُون الرَّشِيد جده الأول، والمسترشد بالله جده القريب وأنه ورث من أبيه المستضيء بأمر الله الرحمة بالرعيّة ومن جده المستنجد العزيمة والشجاعة.

4-مُحَمَّد بن عَبْد الله، سِبطُ بن التَّعاويذِي (ت584هـ)[1]، قال من قصيدة هنّأه فيها بالخلافة[2]:

(البحر الخفيف)

كَيفَ لَا يُفْضُلُ السوَادُ[3] وَقد أضْـ ... حى شعارًا عَلى بَنِي الْعَبَّاسِ

أُمَنَاء الله الْكِرَام وَأهل الْـ ... جُودِ والحِلْمِ والتُّقى وَالبَاسِ

عُلَمَاء الدِّينِ الحَنيفِ وأَعْلا ... مِ الْهُدى وَالضَّراغِمِ الأَشْراسِ

أَيَّدَ اللهُ دِينَهُ بِجبال ... مِنهُم شَمخ الْجبَال رَواسي

واصْطَفاهُم مِن كُلِّ أَغلَبِ مَشْبو ... ب الذِراعيَن لِلعِدى فراسِ

فَهُمُ الآمِرون بِالْعَدْلِ والإحْـ ... سَانِ والحَاكِمون بالقسطاسِ[4]

وَلَقَد زُينَت الْخلَافَةُ مِنْهُمْ ... بِإِمَامِ الْهُدى أَبي الْعَبَّاسِ

---

[1] **سِبطُ ابن التَّعاويذي، هو:** مُحَمَّد بْن عُبَيد اللَّهِ بْن عَبْد اللَّه أَبُو الفتح الكاتب، وهو شاعر مجيد حسن النظم لَهُ ديوان شعر، وهو حفيد الزَّاهِد أَبِي مُحَمَّد بْن التعاويذي، وكان أَبُوهُ مَولَى لبني المظفر اسمه نِشْتِكين، توفي سنة (584هـ)، ينظر: الدبيثي: المختصر المحتاج إليه، 37/1.

[2] سبط ابن التعاويذي: ديوانه، ص237.

[3] كان اللون الأسود شعارًا للعباسيين في لباسهم وهو لون علم راية العباسيين، وكان يلقب العباسيون بالمسوَّدة نسبة إلى اللون الأسود؛ لأنه يرهب الآخرين، لبس العباسيون السواد للإيحاء بأنهم خرجوا للثأر لمقتل الحسين ومظالم الهاشميين، وجمع هدا اللون الأسود الهاشميين كلهم الهباسيين والعلوييزن وحين انقلب العباسيون على العلويين إتخذ العلويون اللباس الأخضر.

[4] **القِسْطاس، هو:** الميزان، وهو أعدل الموازين، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، 6/ 176. والشاعر هنا متأثر بالقرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء:58].

ويمدح سبط التعاويذي بني العباسّ وأصلهم وصفاتهم الحسنة وأخلاقهم الدمثة وكيف أنَّ الله تعالى اصطفاهم على الناس بأفعالهم الحسنة وعدلهم وإحسانهم فجعلهم خلفاءه في الأرض وعلى رأسهم الناصر لدين الله.

5- ابن النَّبيهِ المِصْرِيّ، قال من قصيدة مدح فيها الخليفة الناصر لدين الله بنسبه الشريف، فهو وارث النبي، صلى الله عليه وسلم، في كل شيء، حتى أن بغداد أصبحت به توازي مكة زمن النبي، صلى الله عليه وسلم، فدعا الناس للحج إليها وزيارتها للتبرك بالخليفة، ودعا المسلمين لزيارة بغداد، والتمتع برؤية الخليفة؛ فهو بضعة من النبي صلى الله عليه وسلم، التي باركها جبريل عليه السلام، وبذلك رؤيته تطهر أنفسهم من الذنوب، وفي ذلك مبالغة عالية يرفضها العرف والعقل أن يكون الخليفة يمدح بصفات لا تليق إلا بالنبي عليه السلام. قال[1]: (البحر الكامل)

بَغْدَادُ مَكَّتُنا وَأَحْمَدُ أَحْمَدُ — حُجُّوا إلى تِلْكَ المناسِكِ وَاسجُدوا

يَا مُذْنِبينَ بِها ضَعُوا أَوزارَكُمْ — وَتَطَهَّرُوا بِترابِها وَتَهَجَّدُوا

فَهُناكَ مِنْ جَسَدِ النُّبُوَّةِ بَضْعَةٌ — بِالْوَحْيِ جِبْريلٌ لَها يَتَرَدَّدُ

6- ابن النَّبِيهِ المِصْرِي، قال من قصيدة أخرى[2]: (البحر الخفيف)

نَظَمَ اللَّه فِيكَ فَضْلَ أُناسٍ — كانَ فِيهِمْ مُقَسَّمًا مَنْثورَا

أَهْلُ بَيتٍ قَد أَذْهَبَ اللَّه عَنْهُمْ — كُلَّ رِجْسٍ وَطُهِّرُوا تَطْهيرَا

يابْنَ آلِ النَّبِيّ خابَتْ صَلاةٌ — لَمْ تَكُنْ فِي خِلالِها مَذْكورَا

قَرَنَ اللَّهُ إسْمَهُ باسْمِكَ العا — لي فَزادا جَلالَةً وَظُهورَا

فَهْوَ عِقْدٌ عَلى صُدُورِ التَّحِيَّا — تِ وَتاجٌ جَلا بِهِ التَّكْبيرَا

---

[1] ابن النبيه: الديوان، ص83-84.

[2] المصدر السابق، ص100-103.

لقد عظم ابن النبيه المصري بصورة لافتة نسب الخليفة الشريف العائد للنبي الكريم عليه أفضل الصلوات والتسليم مثل في القصيدة السابقة، وهنا يصف الناصر لدين الله بالصلاح والتقوى كصفات النبي، وأشار لاشتراكهما بنفس الاسم أَحمَد وذلك بتقدير من الله وزيادة في تشريف الخليفة وتمكينه.

وخلاصة هذا الجانب أن الشعراء عَظَّموا النسب الرفيع للخليفة الناصر لدين الله، حيث ورثَ هذا النسب عن خير سلف، فمدحوه وذكروا فضله، وميزوه عن باقي الخلق.

ثانيًا: صورته عالمًا ومحدّثًا:

كان الخليفة الناصر لدين الله عالمًا بالحديث الشريف، وقد اهتم بالعلماء والشعراء في زمانه وكان لهم مكانة عالية عنده، وشجّع على نشر العلم والأدب في زمانه، حتى لقد جعل ديوانًا خاصًا في الدولة يسمى (ديوان الشعراء) وسمي الشعراء المثبتة أسماؤهم فيه (شعراء الديوان) أي ديوان الدولة العباسية[1]. وقد برزت هذه الصفات العلميّة للخليفة عند كثير من الشعراء ومنهم:

1-يَحيَى بن المُظَفَّر، أبو زَكَرِيا بن مِحْرِز (ت 625هـ)[2]، قال من قصيدة مدح فيها الخليفة الناصر لدين الله[3]: (البحر الكامل)

يا عَالِمًا بِمَواجِبِ الإيمان	**وَمُكَلَّفًا شُكرًا لَدى الإحسان**
ومطالبًا بجزاءِ أَفعالِ العُلا	**وَعوائِدِ الأَحرارِ والفِتيَان**
أَدِّ الفَيضَةَ مُعلِنًا بِوُجُوبِها	**وابْسُط لِسانَ الحَمْدِ لِلسُلطان**
النَّاصِرِ المَنصورِ جَلَّ مَكانَةً	**وَرَكانَةً كَتَبَتهُما المَلَكان**

---

[1] ينظر: أحلام النقيب، عصر الخليفة الناصر لدين الله، ص158.

[2] **أبو زَكَرِيّا يَحْيَى بن مِحْرِز، هو:** علم الدين أبو زكريا يحيى بن المُظَفَّر بن الحسن بن مِحرِز، البغداديّ، المدرّس. كان يدرس بالمدرسة التتشيّة، وبالموفقية، وله حلقة للمناظرة بجامع السلطان وكان بارعًا في الخطابة، وله نثر مليح وشعر فصيح، توفي سنة (625هـ)، ينظر: ابن الفوطي: مجمع الآدب في معجم الألقاب، 1/561-562.

[3] ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 8 / 58-59.

يُملي وَيسْتَملئُ خَواطِرَ رَأيِهِ بِبَلاغَةٍ تُربي عَلى لُقمان[1]

وَإذا بَدا قَلَمُ الفَصاحَةِ جَاريًا بِبَديعِ لفظٍ رَائقٍ وَمَعاني

كَفَّت أَكُفٌّ كَفاه أَكِفاءَ الوَرى بِشهادَةٍ عِلمِيَّةٍ وَبَيان

وَقَضَى قضاة العِلمِ فِي تَفضِيلِها بِفَخَارِها حَتَّى عَلى سَحبان[2].

ويمدح الشاعر هنا الخليفة بإيمانه، وفتوّته، ويُشيد ببلاغة الخليفة وفصاحته وقدرته العلمية وفضله على من حوله في ذلك، بأجمل معاني التشبيه، وأنه يفوق لقمان الحكيم حكمةً، وسحبان وائل فصاحة.

2- سِبطُ ابن التَّعاويذي أشاد بعلم الخليفة في أمور الدين والدنيا، والتزامه بخطى أهل السنة، ورأيهم في تصريف أمور الحكم بالسياسة بالعدل والإحسان، قال[3]: (البحر السريع)

خَليفَةُ الله أَنتَ بالدّينِ وال دُنيا وَأمر الإسلامِ مُضْطَلِعُ

أَنْتَ لِما سَنَهُ الأَئِمَةُ أَعْـ لامُ الهُدى مُقتَفٍ وَمُتَّبَعُ

فَالنَّاسُ فِي الشَّرعِ وَالسِّياسَةِ والْـ إحسَانِ وَالعَدلِ كُلُهُم شُرَّعُ

وبهذا تظهر صورة الخليفة الناصر لدين الله في حبه للعلم، وكونه واسع العلم والأدب، مشجعًا على طلبه.

ثالثًا: صورته فارسًا وشجاعًا وإمامًا قائدًا:

رسم عدد من الشعراء لنا صورة مشرقة للناصر لدين الله هذه الصورة، إطارها وخلفيتها الإمامة والقيادة بكل مقوّماتها، والخليفة اتصف بصفات كثيرة منها حبّه حياة الجندية العسكرية، وإحياؤه للفتوّة.

---

[1] **لُقمَان، هو:** هو لقمان بن عنقاء بن سدون، رجل عرف عنه الحكمة، ورد ذكره في القرآن الكريم، وسميت سورة لقمان باسمه، ينظر: ابن كثير القرشي: البداية والنهاية، 2/ 123.

[2] **سَحبان وَائِل، هو:** سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، الباهلي، خطيب يضرب به المثل في البيان يقال (أخطب وأفصح من سحبان)، اشتهر في الجاهلية وعاش زمنا في الإسلام، (ت:55هـ)، ينظر: ابن كثير القرشي: البداية والنهاية، 71/8.

[3] سبط بن التعاويذي: ديوانه، ص273.

وقد كان الناصر لدين الله حريصًا على التحلّي بصفة الإمامة الحقة، ويؤكدها بنفسه وأعماله وسلوكه وقدرته على قيادة زمام حكم دولته بشكل فطري.

1-عَبْد الواحِد بن عَبدِ الرَّحمَن، السِيسَنيّ (ت 614هـ)[1]، قال يمدح الخليفة الناصر لدين الله[2]: (البحر الكامل)

وَجدَّدتَ فِي الإِسلامِ زهرَ مآثر	**عَلى أَهلِها مِنه الجَلال لَمُشرِقُ**
وِلايَةَ عَهدِ سربل الذينَ عَزَّها	**فَلا حظها طَرقُ الزمانِ ويَطرِقُ**
تَسامى بِها رُكنُ العُلا فُهوَ شامخ	**وَشدَّ بِها عِندَ الهُدى فَهو أَوثَقُ**
وَعفيت سبل المنكراتِ فأَصبحت	**كَأَن لَم تَكُن مِن قَبل ذلِك تخلقُ**
وَصيرَت للمعروفِ في النّاسِ دولة	**فَألوية المعروف تعلو وتخفقُ**
مَساعيكَ يا ابنَ الأكرمين كَأنها	**بدور تجلى أو شموس تألقُ**
سبقت بِها شأو الخلائِق كُلهم	**وَمَا زِلتَ للعلياءِ تَسعى وَتسبقُ**
فَلا زالت الأيامُ منكَ بغبطة	**وَلا زالَ منكَ الجد يسمو ويسمقُ**
ولا زَالت الأعيادُ يُبهرُ أهلها	**ضياءً لها مِن نور وَجهكَ يشرقُ**
تَنالُ بِها أقصى الأماني وتَنتَهي	**إلى غاية مِن سعدها ليس يلحقُ**

يصف الشاعر فترة حكم الخليفة للمسلمين بأيام عزّ وقوة، نشر فيها صنع المعروف والإحسان، والابتعاد عمالا يليق، والناصر لدين الله سعى فيها لتثبيت حكم المسلمين وردَّ كيد الأعداء بنشر فكرة الجهاد في التصّدي لهم، فتوسعت الدولة الإسلامية في زمانه وامتدت وسعدت.

---

[1] **عَبْد الوَاحِد السِيَسَني، هو:** عبد الواحد بن عبد الرحمن بن منصور بن أبي الفرج السيسني، أبو محمد، أصله من مصر، جاء بغداد، وسكن بالمدرسة النظامية، وكان حسن الأخلاق، وأديبًا فاضلًا، أجاد نظم الشعر، ومدح الخليفة الناصر لدين الله وكبار رجال الدولة، وأُثبت اسمه في ديوان الشعر، فكان ينشد في التهاني والتعازي، وينشد في مجلس الوزراء، توفي سنة (614هـ)، ينظر: ابن النجار: تاريخ بغداد وذيوله، 16/ 142-144.

[2] ابن النجار: تاريخ بغداد وذيوله، 16/ 142-144.

2–وفي قصيدة عَبْد الحَقّ بن نَصر، أبي نَصر بن الدَّجاجِي (ت 601هـ)[1]، يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله، قال[2]: (البحر المتقارب)

أَنارَ الخِلافَةَ إذ حَلّها	**فَكَم عُقدَة بِالتُقَى حَلّها**
تَحمِل أَعباءَها صَابِرًا	**فَما حادَ عنها ولا حَلَّها**
شُجاعٌ بِعزمٍ يَذُلُ السِباعَ	**فَكم مِن حُروبٍ بِها فَلّها**
وكم أجدَبَت أَرض آمالنا	**فَعمر بث النَدى فَلَّها**
دَعتْهُ الخِلافَة حَتى أَجابَ	**قَلَما غَدا حَامِلًا كلَّها**
أَنالَ الجَزيلَ وَقالَ الجَّمِيلَ	**وَحازَ مَفاخِرَها كلَّها**
وَنادى العُلَا بِلِسانِ النُّهى	**بِبَيتٍ يُنبه مَن قَالَها**
أَتَتْهُ الوِزارِة مُنقادَةً	**إليهِ تُجَرِرُ أَذيالَها**
فَلَم تَك تَصلُح إلَّا لَه	**وَلَم يَكُ يَصلُح إلّا لَها**

يصف الشاعر في الأبيات السابقة السياسة الحكيمة التي بها أعاد الخليفة للخلافة مكانتها السياسية والعسكرية. وبُطُولَة الخليفة في محاربة الأعداء فشبههم بالسباع في قوتهم لكن الخليفة هزمهم في المعارك والحروب، ويثني على كرمه، ويُمجِّد قوته ورباطة جأشه في تحمل أعباء الخلافة فقد نالها عن استحقاق وجدارة، وحاز المجد والعلا عن كفاءة ومزايا.

3– سِبطُ ابن التَعاويذِي، قال من قصيدة هنأ بها الخليفة الناصر لدين الله بتولي الخلافة سنة(575هـ)، فأشاد بشجاعته وهمّته في نصر الإسلام، وطرد الأعداء، والقضاء على الجدب والفاقة، وشبهه بالحبل الممدود بين الله وعباده[3]: (البحر الخفيف)

---

[1] **أبو نَصْرِ الدَّجَاجِي، هو:** محمد بن سعد بن نصر بن سعيد، البغدادي، كان فقيها حنبليًا، شيخا واعظا، حسن الأخلاق، وخطيبًا وشاعرًا له أشعار مدح بها الخليفة الناصر لدين الله، توفي سنة (601هـ)، ينظر: ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 5/157–158.

[2] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 45 /113–114؛ ابن المستوفي الإربلي: تاريخ إربل، 1/ 285.

[3] سبط بن التعاويذي: ديوانه، ص238.

يَا مبيد العدى وَيَا طارد الْمح ... ل نداه وَقَاتل الإفلاسِ

حجَّة الله أَنْت وَالسَّبَب الْمَمْدُو ... د مَا بَينه وَبَين النَّاسِ

4- عبد القادر بن إبراهيم، أبو محمد البغداديّ (ت 622هـ)[1]، قال من قصيدة طويلة، يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله ويثني على شجاعته وفروسيته في أرض المعركة قال[2]: (البحر البسيط)

يُقيمُ فِي الأَرضِ حَدَّ الله مُجتَهِدًا ... يَبغي رِضاهُ بِحلمٍ زَانَهُ عَمَلُ

ماضي السِّنان شَديد البَأس لا هلعٌ ... يثني عنان مَراميه ولا وَجَلُ

ثَبت الجنان إذا نارُ الوغي اضْطُرِمَت ... بالحَربِ فَهو الشُّجاعُ المقدَّمُ البطلُ

ومنها:

جُلُّ المُلوكِ بِدون الدِّين قد شُغلوا ... وَناصِر الدِّين بِالإسلامِ مُنشَغِلُ

ملائكُ اللهِ أنصارٌ له فَهُمُ ... يوم الضِّراب له بالنَّصر قد كفلوا

ليثٌ هزبرٌ مكرٌّ باسلٌ بطلٌ ... مستبشرٌ وليوثُ الحَربِ قد ذهلوا

قِيل شُجاع مطاع ضغيمٌ قدامٌ ... غيثٌ مغيثٌ كريم الخيمِ هَطِلُ

يمدح الشاعر في الأبيات السابقة بَسالةَ الناصر لدين الله وثباته أمام الأعداء في بأسهم ومكرهم، وزَكَّى التزامه بالعقيدة، وتثبيت الله له في ملكه فالملائكة معه تنصره، وتصويره بالليث الباسل البطل والكريم الذي يغيث الملهوف والملك المعظم (شبهه بأقيال ملوك اليمن في الجاهلية).

---

[1] **أبو مُحَمَّد البَغدادِي، هو:** عبد القادر بن إبراهيم بن شُجاع بن بَقاء بن علي بن عَرفَجَة، أبو محمد، البغداديُّ، كان فقيهًا حنفيًا، عالمًا بالأصول، والخلاف، وله معرفة بالمنطق والفرائض والحساب وعلم القراءات، مدح الخليفة الناصر لدين الله، توفي سنة (622هـ) ببغداد، ينظر: ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 3 / 29؛ عبد القادر القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، 1/ 324.

[2] ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 3 /30-32.

5-هِبَةُ اللهِ بن عَبْد الرَّحمَن، ابن الشِّيرازيّ(ت570هـ)[1]، قال نتفه في وصف محاسن الخليفة الناصر لدين الله[2]: (البحر الوافر)

عَنيتُ النّاصِر المَنصور عَضُدي خَليفَة أَحمَد كَأَبِي تُرابِ

إمامًا يملَأُ المِحرابَ زُهدًا وَفِي يَومِ الكريهةِ ليثُ غابِ

البس الشاعر الخليفة ثوب العابد الزاهد؛ فشبهه بعلي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، الذي لقبه الرسول، صلى الله عليه وسلم، بذلك، كونه حجة الله على أهل الأرض بعده، وشبه الشاعر الناصر لدين الله في قوته وشجاعته وجسارته في مواجهة الأعداء كالأسد في الغابة.

5- مُحَمَّد بن مُحَمَّد، العِمادُ الكَاتِب الأَصْبَهانِي(597هـ)[3] ، قال من قصيدة مدح بها الخليفة الناصر لدين الله عندما بشَّرَه بفتح بيت المقدس سنة(583هـ)، وقدم له من خلالها الطاعة والولاء[4]: (البحر البسيط)

أَبشرْ بفتحٍ أَمير المؤمنينَ أَتى وصِيتُهُ في جميع الأرض جوّابُ

ما كانَ يخطرُ في بالٍ تصوُّره واستَصعَبَ الفتحُ لمّا أُغلقَ البابُ

وخامَ[5] عنه الملوكُ الأقدمونَ وقد مضتْ على النّاس من بلواهُ أَحقابُ

وجاءَ عصرُكَ والأيامُ مقبلةٌ فكان فيه لفيض الكفر إنضابُ

ومنها:

---

[1] **ابن الشِّيرَازِيّ، هو:** هبة الله بن عبد الرحمن بن محمد بن محمود بن الشيرازي، يكنّى أبا الفضل، من أهل مدينة السلام، ولد في مصر سنة (570هـ)، كان تاجرا بخرسان في إيران، وكان ينظم الشعر، أنشد هذا الشعر وهو مسجون، وأرسله إلى الخليفة الناصر لدين الله، يتألم من السجن ويشكو إليه حاله، ينظر: ابن الشعار: قلائد الجمان، 145/7.

[2] ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 7 / 145-146.

[3] **عِمَاد الدِّين الكَاتِب، هو:** محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس الدين حامد بن أله، أبو عبد الله، الأصبهاني: مؤرخ، عالم بالأدب، من أكابر الكتاب، صاحب المصنفات والرسائل، ولد في أصبهان، وقدم بغداد، صغيرًا، فتعلم وتفقه، وسمع الحديث، وله من المصنفات جريدة النصر في شعراء العصر، والفتح القدسي، والبرق السامي وغير ذلك من الكتب، وديوان شعر، توفى سنة (597هـ)، ينظر: ابن كثير القرشي: البداية والنهاية،30/13؛ الزركلي: الأعلام، 26/7.

[4] عماد الدين الأصبهاني، الديوان، ص74.

[5] خامَ: كادَ له

بفتحه القدسَ للإسلام قد فتحتْ في قمع طاغية الإشراك أبواب

ففي موافقة البيت المقدَّس لِلْـ بيت الحرام لنا تيهٌ وإعجابُ

والصَّخرُ والحجرُ الملثومُ جانبهُ كلاهما لاعتمار الخَلقِ مِحرابُ

نفى من القدس صُلبانًا كما نُفيت من بيت مكّة أَزلامٌ وأَنصابُ

الدهرُ ينصرني ما دام ينسبني لخدمة الناصر المنصور نسّابُ

بِطاعة النّاصر بن المستضيء أبي الـ عباس أحمد للأَيام أصحابُ

أرسل العماد الأصفهاني البشرى للخليفة التي عجز عن الإتيان بمثلها من سبقه من الملوك وأن تكون حصلت في زمانهم وهي لا تصدق، ولكن بخلافة الناصر لدين الله وما كان فيها من علو شأن الإسلام، وسعادة وهيبة الدولة الإسلامية، تراجع الكفر عن البلاد المقدسة وعادت أمجاد المسلمين، وشبه تحرير القدس بيوم فتح مكة المكرّمة وإزالة الصلبان بتكسير الأصنام، ويؤكد على طاعة الخيفة الناصر المنصور.

وظهرت شخصية الخليفة في شعر الشعراء الملتزمة بالدين الإسلامي، والحريصة على الدفاع عنه، ومحاربة الأعداء، واتباع شريعة الإسلام، والقضاء على مظاهر الفساد، فلقد تمكن الخليفة الناصر لدين الله من حماية دولته، فشد بذلك أزر المسلمين ووحدهم، وظلت رايته خفَّاقةً والنصر حليفه دائمًا.

رابعًا: صورته جوادًا كريمًا:

كان الناصر لدين الله بحرًا فياضًا، يغدق على الشعراء والعلماء حيث صار محط أنظار الجميع؛ بعطائه وحسن فعاله، فصوره الشعراء بأن يديه سخية سخاء البحر والسحاب، وأن الأرض إذا أصابها قحط فإن كرمه يغني الناس عن المطر ويعوضهم. وقد ظهر ذلك في أشعار شعراء كثر منهم:

1- يُوسُف بن عَبْد الرَّحمَن، مُحيي الدّين ابن الجَّوزي (ت656هـ)[1]، قصيدة مدح بها الخليفة الناصر لدين الله[2]: (البحر المديد)

مِثلَ مَا في النَّظمِ يُطرِبُني	**لِإمامِ العَصرِ مَدحَتُهُ**
لِوفودِ الجُودِ قَد كَفلت	**بالأماني أريحيَتُهُ**
مِن نَدى كَفَّيهِ تَابعه	**حِجة الإحسانِ عُمرَتُهُ**
يَخجَلُ الوطفاءُ هاميةُ	**حِينَ تَهمَى الجُّودُ مزنتُهُ**
فَإذا ما البَحرُ قِيسَ بِه	**أَشبَه الغدران لَجَتُهُ**
إن ميت الجودِ عاشِ به	**بَعدَ ما ضَمتهُ حُفرَتُهُ**
وَإذا ما الله عمَّرهُ	**كملت للجودِ بغيَتُهُ**

أشاد الشاعر ابن الجوزي في هذه الأبيات بكثرة عطاء الخليفة الناصر لدين الله، فيده مبسوطة بالخير والإحسان، ويمثل لصورة كرم الخليفة أنه عندما ينسكب المطر من السماء يستحي لكثرة انصباب الخير والعطايا من سحابة جود وكرم الخليفة الذي فاق الغيث غزارةً وتدفقًا، ووصفه أنه أوسع كرمًا من البحر حين يقاس به، والجود يحيا به وعلى ذكراه.

3- مُحَمَّد بن عَبْد الله، سِبطُ بن التَعاويذِي، قال من قصيدة مدح بها الخليفة الناصر لدين الله، قال[3]: (البحر الخفيف)

أَنْت أَحييت رمةَ الْعدْل والجودِ	**وأَنشَرَتها مِن الأَرماسِ**

---

[1] **سِبطُ ابن الجَّوزِي، هو:** أبو المظفر محيي الدين يوسف بن عبد الرحمن بن عليّ القرشي التيمي البكري البغدادي، فقيه حنبلي، ولاه الخليفة الناصر لدين الله حسبة بغداد وأنعم عليه إنعامًا عظيمًا، وولي أستاذية الدار للخليفة وراسل ملوك الأقاليم وكان وجيهًا واعظًا، وكان عالمًا بالتفسير والحديث والفقه ونظم الشعر. له عدة تصنيفات في الخلاف والجدل والمذهب والوعظ، وقرأ القرآن الكريم بالقراءات على أبي بكر الباقلاني وله كتاب سماه "معادن الأبريز في تفسير الكتاب العزيز"، توفي سنة(ت656هـ)، ينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، 23/ 296؛ الزركلي: الأعلام، 246/8.

[2] اليونيني: ذيل مرآة الزمان، 1/ 336.

[3] سبط بن التعاويذي: ديوانه، 238-239.

جُدتَ قبل السُّؤَال عفًوا وكأي من يَد لَا تَدرِ بالأبساسِ[1]

يصوره سِبطُ بن التَّعاويذي هنا بأنه أحيا صفات الرجولة من العدل والجود ونشرها بين الناس بعدما كانت ميتة، وبأنه يهب ويتفضّل قبل أن يُدعى للبذل.

3-كَمالُ الدِّين ابن النَّبِيه المِصْريّ، قال من قصيدة مدح بها الخليفة الناصر لدين الله[2]: (البحر البسيط)

فِي صَدْرِهِ البَحْرُ أو فِي بَطْنِ راحَتِهِ كِلاهُما يَغْمُرُ السَّؤَّالَ زَاخِرُهُ

يا جامِعًا بِالعَطايا شَمِلَ عِتْرَتِهِ كَالقُطْبِ[3] لَولاَهُ ما صَحَّتْ دَوائِرُهُ

إنْ جادَ شِعْرِي فَهذا الفَضْلُ عَلَّمَني مَنْ غاصَ فِي البَحْرِ جاءَتْهُ جَواهِرُهُ

صور الشاعر الخليفة بأنه في صدره وكف يده اتساع البحر يغشى المحتاج ويغمره بالخير، ويضمُّ شمل عائلته وآله الأقربين بكرمه، فهو لهم أساس ومحور التوازن لسير عجلة حياتهم، بل هو كالقطب بالصوف يمر بيديه واتساع طريقته، وهو كالبحر مشحونٌ بالجواهر والدرر مجدًا وشرفًا.

يظهر مما سبق أن صورة الجود والكرم للخليفة تظهر بأنماط وأشكال متنوعة، فصوَّرهُ الشعراء بحرًا، وسحابًا، وقطبًا، لجميل جوده وسمو كرمه في السخاء بالعطاء على رعايا دولته.

خامسًا: صورته مهيبًا:

كانت للخليفة الناصر لدين الله هيبة عظيمة في نفوس العامة والخاصة على حدّ سواء، وقد وجدنا الشعراء يتفقون على هيبة الناصر لدين الله ورهبته في صدور الناس جميعًا، حيث يرسم لنا الشعراء صورة للخليفة مليئة بالهيبة والعظمة. ومن ذلك:

---

[1] **الأبسَاس، وهو**: جمع أبس، وأبَسّس بالناقَةِ: دَعاها إلى الحلب، ومنه المثل: الإيناس قبل الإبْسَاس: يضرب في المداراة عند الطلَب، ينظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس، 452/15.

[2] ابن النبيه، الديوان، 91-99.

[3] **القطب**: المحور القائمُ المثبَّتُ في الطَّبَقِ الأسفلِ من الرَّحَى يدور عليه الطبقُ الأعلى، ينظر: مرتضى الزبيدي، تاج العروس، 4/ 54.

1–سِبط بن التَّعاويذي، قال من قصيدة مدح بها الناصر لدين الله، ورسم له صورة مليئة بالهيبة والعظمة[1]: (البحر الخفيف)

جَمَعَتنَا عَلى خَليفَةِ حَقٍّ نَبَوي الأعَراقِ والأَغراسِ

فِي مقَامٍ ذَلَت لِهيبَتِهِ الْأَعْنَاقُ ذَلَ النقاد لَلهَرماسِ[2]

ومنها:

مَلك جَلّ قُدسُه عَن مِثَال وَتعالَت آلاؤُه عَن قِيَاسِ

وَعنى خَاضِعًا لِعِزَتِهِ كُلَّ أَبي القِيادِ صَعبِ المِراسِ

بيد النَّاصِر الإِمَام استجابت بعد مَطلٍ مِنْهَا وَطول شماسِ

رد تدبيرها إِلَيهِ فأضحى ملكهَا وَهُوَ ثَابت الأساسِ

فصور هيبة الناصر لدين الله بأن انقاد له الجميع خاضعين مذعنين لسلطانه وكيف لا وهو الجريءُ العزيز، سليل بني العباس، رفيع الشأن، حتى أعداؤه دخلوا في طاعته خشيةً ومهابةً منه، فبرصانته ووقاره ثبتت سلطته ومكانته.

2– مُحَمَّد بن مُحَمَّد، ابن مِسكِين (623هـ)[3]، قال من قصيدة مدح فيها الناصر لدين الله، ورسم معالم هيبته مثلما شعر بها هو بنفسه[4]: (البحر البسيط)

وَقُل لَهُم بادِروا دَار السَّلامِ إلى ظِلِ الإِمامِ تِحوزوا غَايَة الطَّلَبِ

النَّاصِرِ الأَعظَم الهَادِي الخَلِيفَةِ وَهّابَ الأُلوفَ وَحامِي الجَحفَل اللَّجِبِ

لَيثُ إِذا مَا سَطَا، دَهر عَلى بَشَر غَيثُ إِذا ضَنَّت الأَنواءُ بِالسُحُبِ

---

[1] سبط بن التعاويذي: ديوانه، 237–239.

[2] **هِرماس، هو:** الأسد وهو الجريء الشديد؛ وقيل: الهرماس الأسد العادي على الناس، ينظر: ابن منظور: لسان العرب، 248/6.

[3] **مَحَمَّد بن مِسكِين، هو:** محمد بن محمد بن عبد المنعم بن مسكينٍ، أبو الفضل المصريّ، كان أبوه من الشهود المعدلين بمصر، وكذلك جده وأسلافه من بيت الفصاحة والجلالة؛ وهو من أهل المعرفة والشعر، توفي سنة(623هـ)، ينظر: ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 5 / 185.

[4] ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 5 / 185–186.

وَطول أَقلامِه أَغنَى وَعزمَتِه	**عَن الطوال الرَدينِيات وَالقُضُبِ**
فَلَو رَآها ابن أَوس لَم يَقُل خَجَلًا	**السَّيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ**
جَلّت مَعاليه أَنْ تُحصَى وَتُحصَر فِي	**نَظمٍ مِن الشِّعرِ أَو نَثرٍ مِنَ الخُطَبِ**
وَحُبّه طَاعَة نَلقَى الإِله بِها	**نَرجو النَّجَاةَ بِها مِن رَبقَةِ العَطَبِ**
لا زَال مُلكُكَ يَا مَن لا شَبيهَ لَه	**فِي المَجدِ والفَضلِ والإِحسانِ والحَسَبِ**
لا بَرحَت طَوالَ الدَّهرِ مُمتَطِيًا	**مملكًا صَهَوات السَّبعةِ الشُهبِ**

ويدعو ابن مِسكين في شعره للتقرب من الخليفة النَّاصر لدين الله في بغداد وتوقيره، حيث إنه جمع بين الهيبة والمحبة، وكان يرحم ما وسعت الناس النعمة، فكان حامي الحمى، متصدقًا على الناس مكرما لهم، ولكنه في الوقت ذاته شديدٌ لا يقبل الزلل، ويعبر الشاعر عن حبه وتوقيره للخليفة وأن هيبته تفزع القلوب حيث أنَّ رضى الله من رضى الخليفة ومن خرج عن حكمه فقد خرج من طاعة الله.

وخلاصة ما سبق هي أنَّ الشعراء رسموا صورة الخليفة الناصر لدين الله مهيبًا تخفق القلوبُ له إجلالًا وإكبارًا، وتفزع من سطوته الخلائق تمجيدًا واعتبارًا.

سادسًا: صورته عادلًا:

من موجبات الإمام القائد العدل، إنه من أهم الصفات في مثالية الحكم والقيادة، وقد حث الإسلام الحكام على الحكم بالعدل لأنه أساس الحكم وأصله؛ وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسَانِ﴾، [النحل: 90]. وقد ظهر ذلك عند عدد من الشعراء ومنهم: الشاعر عَبْد الوَاحِد بن عَبْد الرَّحمَن السِيسَنِي، وهو يمدح الخليفة الناصر لدين الله، قال[1]: (البحر الطويل)

سِلمَتَ أَميرَ المؤمِنينَ لِأُمَةٍ	**لِصوبِ نَدى كَفَيكَ تَحيَى وَتُرزَقُ**

[1] ابن النجار: تاريخ بغداد وذيوله، 16/ 142-144.

بَعثْتَ لَها مَيتَ الرَّجا وَهوَ دَاثِر وَأَنجَحتَ سَعيَ الظَّنِ والظَّنُ مُخفِقُ

وَأوليتها مِن يَمنِ رأيك مَنهجا لَه مَنظر بَادي الوِشايَة مُؤنِقُ

تَفيءُ ظِلالَ العَدلِ فِي أَفنانِهِ وَيأرج مِن ريّاه غَرب ومشرقُ

يدعو الشاعر للخليفة الناصر لدين الله بالسلامة فهو أمل الأمة الذي وفرّ لهم الحياة الكريمة ومصادر الرزق الوفير، وفضله المبتغى والأمنية التي تحققت بصدقه وإنصافه، وشبه قِسطه وعدله، بشجرة عظيمة غطّت رعاياه، تفوح منها رائحة العدالة الطيبة فعمت المشرق والمغرب.

2- مُحَمَّد بن سَعد، أبو نَصْرِ الدَّجَاجِي، قال من قصيدة مدح بها الخليفة الناصر لدين الله، فوصفه بأروع الصفات، ومنها العدل فهو أعاد العدل وأحيا المكرمات، لما امتاز به من العطاء الذي عمَّ البرايا محققًا العدل بينهم، قال[1]: (البحر الطويل)

إِمامٌ أَعادَ العَدلَ مِن فَقدِهِ وَأَحْيا رَمِيمَ المُكرَماتِ بِرِفدِهِ

وَعَمَ البَرايا بِالعَطايا تَكَرُّمًا وَأَشرَقَ فِي أُفُقِ العُلا نَجمَ سَعدِهِ

3- كَمالُ الدّين بن النَّبِيه، قال من قصيدة مدح بها الخليفة الناصر لدين الله، فوصفه بأنه ناصر لرعيته وإمام عدل يلبس لباس الحق والعدل في حكمه[2]: (البحر البسيط)

فَلَيسَ يُخْذَلُ فِي يَومِ الحِسابِ فَتىً والنَّاصِرُ ابنُ رَسولِ اللَّه ناصِرُهُ

إمامُ عَدْلٍ لِتَقْوى اللَّه باطِنُهُ وَلِلْجَلالَةِ وِالإِحْسانِ ظاهِرُهُ

تَجسَّدَ الحَقُّ فِي أَثناءِ بُرْدَتِهِ وَتُوِّجَتْ بِاسْمِهِ العالي مَنابِرُهُ

تظهر حرارة مشاعر ابن النبيه وصدقه في عاطفته نحو الممدوح والتعبير عن شعوره في مدح الخليفة الناصر لدين الله؛ فصوره شفيعًا للأمة يوم الحساب، أسوةً برسول الله، صلى الله عليه

---

[1] ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 5 / 157-158.

[2] ابن النبيه، الديوان، 91-99.

وسلم، فهو من سلالته وابنه على حد قوله، حمل التقوى في سريرته، والعظمة والفضل والإحسان ظاهره، وكأن الحق تجسّد في ثيابه، وشبّه الحقّ بأن له منابر تصدح باسم الخليفة الناصر لدين الله فوقها من عدله واستقامته.

وخلاصة ما سبق أن الشعراء رسموا صورة زاهية لصفة العدل التي تمتع بها الخليفة، وأظهروه بصورة مثالية تتصف بالصدق والإنصاف، ورفع الظلم عن الناس، وتحقيق المساواة والأمن والأمان بين رعيته.

سابعًا: محبّة الناس والولاء للخليفة:

عبّرَ كثير من الشعراء عن حبهم للخليفة وحبّ الناس له وولائهم له بصور متنوعة، وظهر ذلك فيما يأتي:

1- أمين الدولة مُحَمَّد بن عَبْد الله، سِبطُ بن التَّعاويذيّ، قال من قصيدة هنأ الخليفة فيها بتوليه الخلافة ومبايعة الناس له[1]: (البحر الخفيف)

يَا لَهَا بيعَة أَجدَّت من الْإِسْلَام ... بالي رُسومِهِ الأدراسِ

ولي الله أمرَها فَلهُ الْمِنَّة ... فِيهَا عَلَيهِ لَا للنَّاسِ

جمعتنَا على خَليفَة حق ... نَبَوي الأَعراقِ والأَغْراسِ

فَلهُ فِي الرّقابِ عَهدُ وَلَاءِ ... مُحكَم العقد محصد الأمراسِ[2]

يظهر من خلال الأبيات السابقة مدى فرحة الشاعر بتولي الناصر لدين الله الخلافة، ويظهر ولاء وطاعة الشعب له وهو المختار من الله تعالى لهذا المنصب فيضفي شرعية دينيّة على حكمه.

---

[1] سبط بن التعاويذي: ديوانه، ص238.

[2] **أمْراس:** حِبَال، المَرَسَ: الحبْلُ، ينظر: الزمخشري: أساس البلاغة، 205/2.

2–عَبْد الله بن إِسْماعِيل، أبو طَالِب بن الشَّيبانيّ[1]، مدح الناصر لدين الله، بقصيدة، وأظهر محبته له فيها، ومنها قوله[2]: (البحر البسيط)

وَكُنتَ أَصْنَعُ قَصْرًا مِن زُمُرُدَة مِن جُودِ أَحمَدِ، مَلِكٌ دُونَهُ زُحَل

وإنَّما خَيلُ مِثلِي فِي مَحَبَّةِ مَو لانا الإمَامِ دَم الأَعداء تُنْتَعل

يرسم الشاعر صورةً جميلة لحبه للخليفة حتى إنه يبني قصرًا مشيدًا من حجر الزمرد الكريم لشكر الخليفة الناصر لدين الله أحمد، فهو سلطانٌ مقامه أعلى من كوكب زحل الذي هو أكبر الكواكب عند العرب قديمًا.

3– الحَسَن بن عَلّي، ابن الأَقَسَاسِي (ت 593هـ)[3]، قال يتغزل بالخليفة الناصر لدين الله، ويظهر هيامه حبًا به، قال[4]: (البحر الكامل)

لَو أَنَّنِي مِن سِحرِ لَحظِكَ سَالِمُ لَم أَعصِ فِيكَ وَقد أَلَحَّ اللّائِمُ

لَكِنَّهُ ناجى فؤادًا هائمًا ولقلما أصغى فؤادَ هائِمُ

أينَ الشَّجِي مِن الخَلي فَخَلّنِي لِبَلابِلي اليَقظى فَسِرُكَ نَائِمُ

وممّا سبق نلحظ محبة الشعراء للخليفة الناصر لدين الله والولاء لحكمه وهم يعبرون عن رأي الناس فيه، وولائهم له طوال فترة حكمه التي امتدت لسبعة وأربعين عامًا تقريبًا، وتظهر صورة ذلك من خلال كثرة مدحه في أشعارهم.

---

[1] **أبو طَالِب بن أبي محمَّد الشَّيبانيّ**، هو: عبد الله بن إسماعيل، البغداديُّ، وكان حنبليًا، حفظ القرآن، وسمع الحديث، وهو فقيه مناظر، عالم بالتفسير، شاعرًا، ولد في بغداد سنة(584هـ)، ينظر: ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 2 / 218–219.

[2] ابن الشَّعَّار: قلائد الجمان، 2/ 219.

[3] **ابن الأَقْساسيّ، هو**: الحسن بن علي بن حمزة، بن علي بن أبي طالب، النقيب الطاهر أبو محمد الهاشمي، العلويّ، الحسينيّ، الزيدي، المعروف بابن الأقساسي أو الأقباسي، سمع الحديث ورواه، وهو أديب، بليغ، شاعر مجيد، ولي نقابة العلويين بالكوفة مدة، ثم ببغداد، توفي سنة(593هـ)، ينظر: الذهبي: تاريخ الإسلام، 42 / 125–126؛ ابن كثير القرشي: البداية والنهاية، 13/15–16.

[4] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 42 / 125–126.

المبحثُ الثَّاني: صُورةُ الخَليفة في النَّثر.

صفات الناصر لدين الله الخَلقِيّة والخُلُقِيَّة مثلما جاءت مبثوثة في النصوص النثرية:

أولًا: صفاته الخَلقيّة في النثر:

اتّصف الخليفة النَّاصر لدين الله بجمال الصورة، وحسن المظهر، وكثير من الصفات الخَلقية، فوصفه كثيرون مِمَّن ترجموا له، وأشادوا بصفاته الخَلقية، وأفضل وصف كان للرحالة الأندلسي ابن جبير، في أثناء زيارته لبغداد سنة 580هـ، إذ رآه شخصيًا وهو يخرج من قصره، فقال: " أبصرنا هذا الخليفة وهو في فتاء من سنّه، أشقر اللّحية صغيرها، واجتمع بها وجهه، حسن الشكل، جميل المنظر، أبيض اللون، معتدل القامة، رائق الرواء، سنه نحو الخمس والعشرين سنة، لابسًا ثوبًا أبيض شبه القباء برسوم ذهب فيه، وعلى رأسه قلنسوة مذهبّة مطوقة بوبر أسود من الأوبار الغالية القيمة المتخذة للبّاس مِمّا هو كالفنك وأشرف، متعمدًا بذلك زي الأتراك تعمية لشأنه، لكن الشمس لا تخفى وان سترت"[1].

وصفه كثير من المؤرخين بأنه: أبيض البشرة، تركيّ الوجه، أقنى الأنف، خفيف العارضين، رقيق المحاسن، مليح العينين[2].

وهذه أهم الصفات الخَلقيّة التي امتاز بها الخليفة الناصر لدين الله في حياته رحمه الله، مثلما جاءت مبثوثة في كتابات أدباء عصره، فبينوا معالم الوجه وقسماته، ولون البشرة، وطول القامة.

ثانيًا: الصفات الخُلقية:

تمتع الخليفة الناصر لدين الله بالأخلاق الإسلامية الحميدة الّتي كسبها عن أسرته العباسية الشريفة، فقد كان عالمًا بعلوم الشّرع ولا سيما الحديث الشّريف، وشاعرًا، وأديبًا فنشأ محبًّا للعلم والأدب وأهلهما، فأنشأ المدارس والمساجد، والزوايا والتكايا، وأقام مجالس العلم والأدب،

---

[1] ابن جبير: الرحلة، 182/1.

[2] ينظر: الفاسي: العقد الثمين، 3 /18؛ ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، 6 /261؛ الدِّيار بَكْري: تاريخ الخميس، 2 /367؛ ابن العِماد الحنبلي: شذرات الذهب، 7 /172.

وحضر بنفسه مجالس الوعظ لكبار الوعاظ في بغداد، وقد ذكر الكُتاب هذه الصفات في كتاباتهم، على النحو الآتي:

أولًا: نسبه الشّريف:

وقد فصل ابن الأَثِير نسبه حتى أوصله لجده العَباسّ بن عَبْد المُطّلِب عمّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وذكر خلال ذلك جميع الخلفاء الذين سبقوه من آبائه وأجداده، قال هو: "الخليفة النَّاصِر لدِين الله أبو العَباسّ أَحمَد بن المُستَضيء بأَمرِ الله أَبي مُحَمَّد الحَسَن بن المُسْتَنجِد بالله أَبي عَبد الله بن المُستَظهِر بالله أَبي العَباسّ أحمَد بن المُظَّفَر يُوسُف بن المُقتَفِي لِأمرِ الله أبي العَباسّ مُحَمَّد بن المُقْتَدي بِأمرِ الله أَبي القَاسِم عَبْد الله بن الذَّخِيرَة مُحَمَّد بن القَائِم بِأمرِ الله أبي جَعفَر عَبد الله بن القَادِر بالله أبي العَباسّ أَحمَد بن إِسْحاق بن المُقتَدِر بالله أبي الفَضل جَعفَر بن المُعتَضِد بالله أبي العَباسّ أَحمَد بن المُوفَق أبي أحمَد مُحمَّد بن جَعفَر المُتَوَكِل عَلى الله، ولم يكن المُوَفَق خَليفة، وإنما كان ولي عهد أَخِيه المُعتَمِد على الله، فمات قبل المُعتَمد، فصار ولده المُعْتَضدّ بالله ولي عَهدِ الُمعتَمِد عَلى الله، وكان المُتَوَكِل على الله بن المُعتَصِم بالله أبي إِسْحاق مُحَمَّد بن هَارُون الرَّشِيد بن مُحَمَّد المَهدِيّ بن أبي جَعفَر عَبد الله المَنصور بن مُحمَّد بن عَليّ بن عَبد الله بن العَباسّ بن عَبد المُطّلِب، رضي الله عنهم. فكان في آبائه أربعة عشر خَليفة، وهم كل من له لقب"[1].

وكثيرًا ما مدحه الكتاب بنسبه الشريف الذي يتصّل بالعَبّاس بن عَبد المُطلب عمّ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك:

1- عَليّ بن أَنجَب، ابن السَّاعِي (672هـ)، قال: "فصلى الله عليه وعلى آله وعلى سلالة عمّه ووارثه، وصنو أبيه العَباسّ الذي طهره الله من الأدناس، وفرض مودتهم وطاعتهم على جميع الناس، الخلفاء الراشدين، وأئمة الحق المجتهدين، والحمد لله الذي أصار إلى خليفته في أرضه، ونائبه في خلقه، الإمام المفترض الطاعة على سائر الأنام. النَّاصر لدين الله أمير المؤمنين، ووارث الأنبياء والمرسلين"[2].

---

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ، 10/ 398-399.

[2] ابن الساعي: الجامع المحتصر، 9 /266-267.

2- عَبْد الرَّحيم البِيساني، القَاضي الفاضِل (596هـ)، قال القاضي الفاضل في رسالة على لسان صَلاحِ الدِّين الأَيوبي أرسلها إلى الديوان العزيز - أيام الخليفة النَّاصر لدين الله - يبشره بفتح القدس الشريف واستنقاذه من أيدي الصليبيين: "أدام الله أيام الدّيوان العزيز النبوي الناصري، ماضي حكم القول بعزم لا يمضي إلا بنسل غويّ وريش رشد، من أئمة قضوا بالحقّ وبه كانوا يعدلون، وخلفاء الله كانوا في مثل هذا اليوم لله يسألون؛ لا جرم أنّهم أورثوا سرّهم وسريرهم خلفهم الأطهر، ونجلهم الأكبر، وبقيّتهم الشريفة، وطلعتهم المنيفة، وعنوان صحيفة فضلهم لا عدم سواد العلم وبياض الصحيفة، فما غابوا لمّا حضر، ولا غضّوا لما نظر، بل وصلهم الأجر لما كان به موصولًا، وشاطروه العمل لما كان عنه منقولًا ومنه مقبولًا؛ وخلص إليهم إلى المضاجع ما اطمأنّت به جنوبها، وإلى الصحائف ما عبقت به جيوبها، وفاز منها بذكر لا يزال الليل به سميرًا، والنهار به بصيرًا، والشّرق يهتدي بأنواره، بل إن أبدى نورًا من ذاته هتف به الغرب بأن واره؛ فإنه نور لا تكنّه أغاسق السّدف، وذكر لا تواريه أوراق الصّحف"[1].

فكان النَّاصر لدين الله خير خلف لأفضل سلف رضوان الله عليهم أجمعين.

ثانيًا: صورته عالمًا ومحدّثًا:

كان الخليفة النَّاصر لدين الله عالما، تتلمذ على يد كبار الشيوخ تعلم منهم حفظ كتاب الله، ورواية الحديث الشريف، والإسناد، والفقه في الدين، وعلوم العربية. وقد اهتم بالعلماء والشعراء في زمانه وكان لهم مكانة عالية عنده، وشجّع على نشر العلم والأدب في زمانه، وقد كان له إجازة في رواية الحديث.

1- أَحمَد بن فَضلِ الله، ابن فَضلِ الله العُمَريّ (749هـ)، قال: "وكان النَّاصر محبًا للعلم والأدب مطلعا على علوم عصره ومؤلفاته، قديرًا على النظم والكتابة"[2].

2- أَحمَد بن عَلِيّ، تَقِي الدّين المَقريزي (845هـ)، قال: "سنة اثْنَتَي عشرَة وسِتمِائَة وفيهَا سير الْخَلِيفَة النَّاصِر لدين الله كِتَابه الَّذِي أَلفه وَسَماهُ روحُ العارِفين إِلَى الشَّام ومصر وَغَيرهَا ليسمع"[3].

---

[1] ابن واصِل: مفرج الكروب، 3 / 336-338.

[2] ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، 303/24.

[3] المَقْرِيزي: السلوك 1 /301.

3- عَبد الرَّحمن بن أبي بَكِر، جَلالُ الدِّين السِيوطي (911هـ)، قال: "وفي وسط ولايته اشتغل برواية الحديث، واستناب نوابًا في الإجازة عنه والتّسميع، وأَجرى عليهم جِرايات، وكتب للملوك والعلماء إجازات"[1].

كان المحدثون وعلماء الحديث يعقدون مجالس لقراءة الحديث وتفسيره وكان الخليفة النّاصر لدين الله يحضر مجلس حديث الشيخ أحمَد بن مَسعود التُركِسْتاني، الذي كان يعقده بجامع القصر الشريف كل يوم جمعة، وكان يلقي الدروس عنه أبو الفَرَج عَبد الرَّحمَن بن شُجاع فيحضرها الخليفة.

4- عَبْد القَادِر بن مُحَمَّد، القُرَشي (775هـ): "قال ولم يكن الحديث من فنه إلا أنه شرفه الإمام الناصر لدين الله بالإجازة له وكان يروي عنه"[2].

وبذلك يظهر لنا صورة الخليفة العالم الكاتب، والمحدّث، والناظم، المحب لأهل العلم فيقربهم إليه في مجالس العلم والأدب، التي كان يعقدها لهم في قصره.

ثالثًا: صورته فارسًا وشجاعًا وإمامًا قائدًا:

وقد ذكر الكُتاب الصفات الحميدة التي تدل على شجاعة وفروسية وقوة بأس الخليفة الناصر لدين الله، ومن ذلك:

1- محمد بن سالم، ابن واصل (697هـ)، قال في شجاعته وذكائه ومكره: "كان شهمًا شجاعًا أبيّ النفس حازمًا متيقظًا، ذا فكرة صائبة وعقل رصين، ودهاء ومكر"[3].

لما جاء الخليفة النَّاصر لدين الله؛ ووضع نظامًا جديدًا للفتوة، فانتشرت الفتوة، وقد أشاد كثير ممن ترجموا للخليفة الناصر لدين الله بهذا العمل، ومن ذلك:

1- مُحَمَّد بن سَالِم، ابن وَاصِل (697هـ)، قال: "يحض فيها على عمل الطاعات واجتناب المآثم، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ونصر المظلوم على الظالم، وإغاثة الملهوف وحفظ الجار، وغير ذلك مما يشترطونه في الفتوّة"[4].

---

[1] السُيُوطي: تاريخ الخلفاء، 1 /319-320.

[2] عَبْد القَادِر القُرَشي: الجواهر المضية، 1 / 125.

[3] ابن واصل: مفرج الكروب، 4/ 163.

[4] ابن واصل: مفرج الكروب، 4/ 164.

2- مُوسى بن مُحَمَّد، البُونِينِي (726هـ): مدح شجاعته ونصره الإسلام، مشيدًا بقوته وشجاعته، وجهوده الجبارة التي وصلت إلى الغاية المرجوّة، فقد نصر الحق، وأخاف الأعداء، وهزمهم ودحرهم، قال: " الإمام النَّاصر لدين الله أمير المؤمنين الذي أوسع الإسلام انجادًا ونصرًا، وأوسع الأنام إرفادًا وبرًّا، وقمع أهل الكفر والعناد إرغامًا وقهرًا"[1].

3-إِسماعِيل بن عَليّ، أبو الفِداء (732هـ)، قال: "وصلت رسل الخليفة النَّاصر لدين الله إلى ملوك الأطراف، بأن يشربوا كأس الفتوّة، ويلبسوا له سراويلها، وأن ينتسبوا إليه في رَمي البُندق، ويكون قدوة لهم فيه[2].

4-مُحَمَّد بن أَحمَد، ابن قِيمازْ الذَّهبَي (748هـ)، قال: "وفي سنة (578هـ) لبس لباس الفتوّة النَّاصر لدين الله من شيخ الفتوّة عبد الجبار، وبقي يُلبِسُ الملوك"[3].

5-عُمَر بن الحَسَن، ابن دِحِيّة (633هـ)، مدح شجاعته وفتح البلاد وحفظه لها. صور لنا جانبًا من سيرة الخليفة النَّاصر لدين الله وهو شاهد عيان، على ذلك، حيث قال: "وأخذ النَّاصر الأمر حقًا وقوة، وفتح البلاد طاعةً وعنوة، وطبقت دعوته جميع الآفاق، وطلعت شمس حكمته باهرة الإشراق، وأوقع بوزراء السوء على الإطلاق، وقام بما عليه من العهد والميثاق"[4].

من خلال ما تقدم يلاحظ أن صورة الخليفة التي رسمها الكُتاب كانت؛ صورة الإمام الفارس، والقائد الشجاع، الذي يكون النصرُ حليفه دائمًا.

رابعًا: صورته جوادًا كريمًا:

عُرف الناصر لدين الله بالكرم والجود والبذل وكثرة العطاء لرعيته عامة، وعلى من يعمل عنده وعلى العلماء والادباء خاصة، وظهر ذلك فيما يلي:

1- عَبد الرَّحيم البِيساني، القاضي الفاضل (596هـ)، مدح تدينه في رسالة بشارة كتبتها له على لسان صَلاحِ الدِّين يوم فتح القدس الشريف سنة (583هـ)، قال: "وارد الجود والسّحاب على الأرض

---

[1] البونيني: ذيل مرآة الزمان، 2/ 293.

[2] ينظر: أبو الفداء: المختصر، 3/ 113.

[3] الذهبي: العبر، 3/ 74.

[4] ابن دحية: النبراس، ص 165-166.

غير وارد؛ متعدّد مساعي الفضل وإن كان لا يلقى إلّا بشكر واحد، ...، ولا زالت غيوث فضله إلى الأولياء أنداء إلى المرابع وأنوارًا إلى المساجد"[1].

وهذه من صور مدح القاضي الفاضل للخليفة النَّاصر لدين الله؛ فوصف كرمه بأنه يجود أكثر من السحاب على الأرض، ويشبه عطاياه وفضله بالغيوم المحملة بالماء، يبعث بها ويوزعها على أولياء الله الصالحين، وكأنها قطر الندى في موضع الربيع، والنور الذي يضيء المساجد.

2-مُحَمَّد بن سَعيد، ابن الدّبيثي (637هـ)، مدح عدله وفضله على الرعيّة ببناء المدارس والمشافي والأربطة وغيرها من منازل الخير، فقال: "ولم تزل الرعية في ظله ولنعماه يرجعون إلى أوفى أمن، وأوفر فضل، وأكمل مَن، وواسع معيشة، وأرضى حياة وعيشة، يعمهم العدل ويشملهم الفضل وتغمرهم الصدقات، وتغنيهم الصلات، وعمر المساجد وجدد المشاهد وأنشأ الأربطة، والمدارس وأحيا من الخيرات كل رسم دارس فالخلق في إنعامه راتعون وله بدوام الملك وطول الحياة داعون والله تعالى يستجيب فيه دعاءهم ويحرس من الغبر الشريف سدته ويحبيه ما أحب الحياة أنه جواد كريم"[2].

3-مُحَمَّد بن أَحمَد، ابن قِيمازْ الذَّهَبِي (748هـ)، أشاد بكرمه على المخلصين، وشدّة عقابه للعصاة المتمردين، قال: "كان النَّاصر إذا أطعم أشبع، وإذا ضرب أوجع، وله مواطن يعطي فيها عطاء مَن لا يخاف الفقر"[3].

من خلال ما تقدم نجد صورة الكرم ظاهرةً جليًا للخليفة النَّاصر لدين الله عند الكتاب والمؤرخين، فقد كان يوزع الصدقات والهبات على الناس، وأنشأ المساجد، والمدارس والتكايا والزوايا، ورعاياه يتنعمون في ملكه.

خامسًا: صورته مهيبًا:

رسم لنا الكُتاب صورة الخليفة النَّاصر لدين الله في عظمة وقوة وبهاء، فمن هيبته تفزع القلوب، وهذه الهيبة من أهم صفات الرجولة التي تمتع بها النَّاصر لدين الله العباسيّ؛ فهو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين، وقد ظهر ذلك على النحو الآتي:

---

[1] ابن واصِل: مفرج الكروب، 3 / 336.

[2] ابن الدبيثي: المختصر المحتاج إليه، 1/ 36.

[3] ينظر: الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 87/45.

1-يُوسُف بن مُحمَّد، مُوفَق الدّين عبد اللَّطِيف البَغداديّ (629هـ)، مدح هيبته حتى في شبابه وقبل توليه الخلافة، قال: "وكان الناصر لدين الله، شابًا، مرحًا، عنده ميعة الشباب. يشق الدروب والأسواق أكثر الليل والناس يتهيبون لقاءه"[1].

2-مُحَمَّد بن مَحمود، ابن النَّجار (643هـ)، قال: "دانت لَهُ السلاطينُ، ودخل تحتَ طاعته مَنْ كَانَ من المخالفين، وذَلَّتْ لَهُ العُتاة والطُّغاة، وانقهرت بسيفه الجبابرة والبُغاة، واندحضَ أضدادُه وأعداؤه، وكَثُرَ أنصارُه وأولياؤُه، وفَتَحَ البلادَ العديدة، وملك مِن الممالك ما لم يملِكُه مَنْ تقدَّمه مِن الخلفاء والملوك أحد، وخُطِبَ لَهُ ببلادِ الأندلس وبلاد الصّين، وكان أسدَ بني العبّاس، تتصدَّع لهيبته الجبال، وتذِلُ لسطوته الأقيال"[2].

ويؤكد الكاتب أن الناصر لدين الله قد ملك رقاب العباد جميعا من سلاطين وجبابرة، وقد استولى على أعدائه، وضمهم تحت جناحه، وفي حكمه فتح الممالك ووصلت خطبته بلاد الأندلس وحتى الصين، وشبهه بالأسد الذي يرتعد من النظر إليه الأبطال، وصور هيبته بشموخ الجبال وعظمتها.

3-مُحمَّد بن سالم، ابن واصِل (697هـ)، قال: "وكانت هيبته عظيمةً جدا، وكان له أصحاب أخبار في العراق وسائر الأطراف يطالعونه بجزئيات الأمور وكلياتها، فكان لا يخفى عنه من الأمور إلا ما قل، وكان ذا سطوةٍ شديدةٍ فكان أهل العراق يخاف أحدهم أن يتحدث مع زوجته في منزله بما يظن أن الخليفة إذا بلغه عاقب عليه"[3].

ويبدو أن من أسباب تخوف الناس ورهبتهم منه؛ أنه كان عالمًا بكل دقائق الأمور مما يجري في دولته، وذلك من خلال عيونه المنتشرة في كل مكان، وبذلك فرض هيبته وسطوته في كل مكان، وفي حضوره وغيابه، والخوف من عقابه.

4-مُحمَّد بن أحمَد، الذَّهَبِي (748هـ)، مدح هيبته في أنحاء العالم الإسلامي في بغداد مقر الخلافة وفي الهند شرقًا ومصر غربًا، قال: " وكان الناصر لدين لله قد ملأ القلوب هيبةً وخيفةً، فكان يرهبه

---

[1] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 45 /84.

[2] الذهبي: تاريخ الإسلام، 45/ 89.

[3] ابن واصل: مفرج الكروب، 4/ 163.

أهل الهند ومصر ويرهبه أهل بغداد، فأحيا هيبة الخلافة، ثم ماتت بموته"[1]. وذكر احترام الملوك والسلاطين له حتى إذا ذكر اسمه في مجالسهم إن الملوك وأكابر القوم إذا ذُكر اسمه خفضوا أصواتهم؛ احترامًا واكبارًا، قال: "ولقد كنت بمصر والشام في خلوات الملوك والأكابر، فإذا جرى ذكره، خفضوا أصواتهم هيبةً وإجلالًا"[2].

سادسًا: صورته عادلًا:

العدل أساس الملك ومن أهم صفات خليفة المسلمين أن يكون عادلًا لا يظلم أحدًا من رعيته، وأن ينشر العدل والإحسان في دولته، وقد اهتم من ترجموا له بذكر ذلك ومنهم:

1-مُحمَّد بن أحمَد، ابن جُبَير (614هـ)، مدح عدله وقُربه من الناس قال: "وهو يحب الظهور للعامة ويؤثر التحبب لهم، وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدوا بأيامه رخاءً وعدلًا وطيب عيش فالكبير والصغير منهم داعٍ له"[3].

وتظهر صورة الناصر لدين الله هنا بأنه كان عادلًا مقربًا من رعيته يسهر على راحتهم وتوفير الأمان لهم، وتوفير احتياجاتهم، فملك قلوبهم وامتلأ ذكره في دعائهم له بالخير.

2-مُحمَّد بن سَعيد، ابن الدّبيثي (637هـ)، في عدله وحب الرعية له، قال: "ولم تزل الرعية في ظله ولنعماه يرجعون إلى اوفى أمن، وأوفر فضل، وأكمل من، وواسع معيشة، وأرضى حياة وعيشة، يعمهم العدل ويشملهم الفضل"[4].

ويبدو أن الخليفة الناصر لدين الله قد جمع بين المحبة والهيبة والعدل في شخصيته، فكان يرحم رعاياه ويحسن إليهم بفضله، وحل الأمن والأمان في أرجاء دولته، فلا يخافون ظلمًا ولا هضمًا، محققًا العدل بينهم.

3- عَبد الحَي بن أَحمَد، ابن العِماد الحَنبَليّ (1089هـ)، وفي عهد الخليفة النّاصر لدين الله نلاحظ أن الخليفة أخذ على عاتقه مسؤولية النظر في المظالم فكان يدقق رقاعها بنفسه، ويوقع عليها، فلما ضعف بصره في أواخر خلافته عجز عن النظر في قصص المتظلمين فجعل امرأة تسمى

---

[1] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 45 /89.

[2] الذَّهَبي: تاريخ الإسلام، 45 /89.

[3] ابن جبير: الرحلة، 1/ 182.

[4] ابن الدبيثي: المختصر المحتاج اليه، 36/1.

"سِت نَسيم" خطها قريب من خطه بين يديه تكتب الأجوبة في الرقاع[1]. وهذا دليل على عدله وحرصه على متابعة مصالح رعيته بنفسه، وخوفه الله فيهم.

سابعًا: محبّة الناس والولاء للخليفة:

ومن صور المحبّة للخليفة والولاء له أن تفتتح المكاتبة بألقاب الخليفة نفسه، ثم يؤتى بالصدر معبّرا عن المكتوب عنه بالعبد، ومخاطبًا للخليفة بميم الجمع للتعظيم، ووصفه بالمَقام، والدعاء للخليفة، ويختم الكتاب بالسلام؛ مثال ذلك،

1-أحمَد بن عَليّ، القَلقَشَنديّ (821هـ)، قال: "المقام الأعلى، المقدّس، المكرّم، الإماميّ، الطاهر، الزّكيّ، مقام الخليفة المؤيّد بنصر الله، الإمام النَّاصر لدين الله كلأ الله جلالهم، وفيّأ ظلالهم، وبوّأ وفود السّعود ووجود الظهور والصّعود مواطئهم المقدّسة وحلالهم، عبدهم المتقلّب في نعمتهم، المتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بالمناصحة في خدمتهم، المتسبّب إلى الزّلفى عندهم بالتزام طاعتهم، والاعتصام بعصبتهم"[2].

وفي ذلك دليل محبه كبير للخليفة من رعيته وولائهم له وطاعته.

2-مُحمَّد بن مُحمَّد، العِماد الكَاتِب الأَصْفَهانِي (597هـ)، قال في رسالة كتبها على لسان صلاح الدين يبشره ويهنئه بفتح القدس سنة (583هـ): "الحمد لله على ما أنجز من هذا الوعد، وعلى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد؛ وعلى أَن أَجرى هذه الحسنة التي ما اشتمل على شبهها كرام الصحائف، ولم يجادل عن مثلها في المواقف؛ في الأيام الإمامية النّاصرية، زادها الله غُررًا وأوضاحًا، وإلى البشائر فيها بالفتوح غُدوًا ورواحًا؛ ومكّن سيوفها في كُلِّ مازق، من كلّ كافر ومارق، ولا أخلاها من سيرة سريّة تجمع بين مصلحة مخلوق وطاعة خالق، وأطال أيدى أوليائها لتحمى بالحقيقة حمى الحقائق، وأنجزها الحقّ وقذف به على الباطل الزاهق، وملكها هوادي المغارب ومرامي المشارق؛ ولا زالت أراءها في الظلمات مصابيح، وسيوفها للبلاد مفاتح، وأطراف أسنتها لدماء الأعداء نوازح"[3].

---

[1] ينظر: العماد الحنبلي: شذرات الذهب، 7/ 174؛ أحلام النقيب: عصر الخليفة الناصر لدين الله، ص107.

[2] القلقشندي: صبح الأعشى، 6 / 532-533.

[3] ابن واصل: مفرج الكروب، 344/3.

وهذا الكتاب من القائد المنتصر صَلاح الدين الأيوبي لدليل اذعان وولاء قاطع النظير لخليفة المسلمين النَّاصر لدين الله، وشمل كذلك الدعاء له بدوام ملكه وحكمه، والاستبشار بفتوحات كثيرة في عهد حكمه ودعمه.

وحتى بعد وفاة صَلاح الدين الأيوبي فقد نهج بنوه من بعده نهجه في الحب والولاء للخليفة الناصر لدين الله واتباع أوامره؛ مثال ذلك: كتب الملك الأفضل إلى الخليفة النَّاصر لدين الله، قال:

"أصدر العبد هذه الخدمة وصدره مشروح بالولاء، وقلبه معمور بالصفاء، ويده مرفوعة إلى السماء، للابتهال بالدعاء، ولسانه ناطق بشكر النعماء، وجنانه ثابت بين المهابة والمحبة على الخوف والرجاء، وطرفه مغض من الحياء، وهو للأرض مقبّل، وللغرض متقبّل، وهو يمتّ بما قدّمه وأسلفه سلفه من الخدمات، وذخره ذخر الأقوات لهذه الأوقات"[1].

فجمعت هذه الرسالة جميع معاني الحب والطّاعة والولاء لخليفة الله النَّاصر لدين الله العباسي.

[1] ابن واصل: مفرج الكروب، 5/3.

المبحثُ الثَّالث: مُقارَنَةُ الصُّورتَين.

وعند المقاربَة بين صورة الخليفة النَّاصر لدين الله في الشعر وفي النثر نجدها متشابهة جدا فهي صورة لعملة واحدة، قام الشعراء والكُتاب بمدح الخليفة النَّاصر لدين الله في جميع كتاباتهم والدعاء له، وحرصوا على إبراز أجمل الصفات التي تمتع بها هذا الخليفة العباسيّ الذي حكم لمدة طويلة قرابة 47 عامًا، بسط فيها حكمه ونفوذه على أرجاء البلاد الإسلاميّة ووحد الصف الداخلي لدولته، وكان مهيبًا جليلًا، شرَّع الأنظمة والقوانين التي قاد بها الأمة، فكان من أقوى حكام بني العباس وأحكمهم.

كذلك كان شعراء العصر العباسيّ حريصين على رسم الخصال الرفيعة والقيم المثلى في شخصية الممدوح، إذ ما زالت سجايا الكرم والشجاعة، والحلم والحزم، والنجدة والمروءة، والعفة والشهامة، موضع إجلال المجتمع العربي الإسلامي، ومضى الشعراء يظهرون أضرب البراعة والفن ضمن هذا الإطار الرحيب من الصفات الأصيلة. وكان ما قام به الخليفة النَّاصر لدين الله من جلائل الأعمال، وتصديه لخصوم الدولة المتمردين عليها في الداخل، ولأعدائها المتربصين بها في الخارج، خير ما أثار قرائح الشعراء وأذكى مدائحهم بعناصر البطولة والبأس.

غير أن موضوع المديح لم يبرأ من بعض العيوب التي شابها في هذا العصر، وفي مقدمتها المبالغة والغلو، وفي شعر ابن النبيه.

أما النثر الأدبي فكان أكثر واقعيةً في رسم صورة الخليفة الناصر لدين الله من خلال أساليبه المتنوعة.

وكان فن النثر الأدبي في عصر الخليفة الناصر لدين الله مزدهرًا؛ فقد نشطت الدواوين وظلت تجذب كبار الكتاب، وازدهرت الرسائل الديوانية والأدبية.

وتميز النثر عن الشعر أنه لا يحتوي على وزن وقافية، ولكنه يلتزم بسلامة اللغة، واستقامة المعنى، وجودة التعبير، لغلبة العقل والمنطق عليه.

الخَاتِمَة.

بعد دراسة الحياةُ الفكريَّة في عصر الخليفة الناصر لدِين الله العبَّاسي كان لابد من الوقوف عند أبرز النتائج التي توصلت إليها الباحثة، وهي على النحو الآتي:

- خلصت الدراسة إلى أنَّ شخصية الخليفة النَّاصر لدين الله والسياسة التي اتبعها أسهمتا إسهامًا كبيرًا في فرض هيبة الخلافة والمحافظة على استقلاليتها في فترة مضطربة شهدت محاولات السلاجقة والخوارزميين السيطرة على الدولة العباسيّة، فنحن أمام خليفة كان له الدور الأكبر في إزالة القوى المعادية للخلافة العباسية وإحياء هيبتها.
- كانت علاقة الخليفة الناصر لدين الله مع الأمراء المسلمين في الإمارات المجاورة علاقة يسودها الود والاحترام والإجلال، وكان هناك تبادل للهدايا والخلع والتشريفات خاصة مع أكثر السلاطين الأيوبيّين والسّلاجقة، مما جعلهم حلفاء أقوياء يدينون بالولاء للخلافة العباسيّة.
- اتسع نفوذ الخلافة العباسيّة في عصر الخليفة النَّاصر لدين الله، فشمل العِراق والشَّام ومِصر والجزيرة العربية وأكثر بلاد الأناضول، واستطاع جيش الخليفة النَّاصر لدين الله أن يسترد الأَحواز إلى العِراق وكذلك أَصْفهان وهَمدان.
- أحيا الخليفة النَّاصر لدين الله نظام الفتوّة وقادهُ شخصيًّا، ووضع الأسس والقواعد التي تسير عليها هذه الحركة فأصبحت حركة منظمة لها مبادئها وتعاليمها وقوانينها التي تحتكم إليها، مما ساعد على بث روح البطولة ورفع عزيمة الشباب والقادة من الأمة من خلال انخراطهم في هذا التنظيم الذي وحدهم وألف بين طبقات المجتمع.
- إن انتعاش البلاد التي حكمها الخليفة النَّاصر لدين الله اقتصاديًا بفضل سياسته أدى إلى التقدم في مجالات العلوم المختلفة وكان ذلك عائدًا إلى اهتمام الخليفة في إنشاء الكثير من دور العلم والمساجد والتكايا والطرق وغيرها، ورعايته المتواصلة لروادها، وإنفاق الكثير من المال عليها، وكان اهتمام الخليفة الناصر لدين الله بالجانب العمراني مدة خلافته هو وأفراد حاشيته أدى إلى ازدهار الحركة العمرانية.
- ساعدت ثقافة الخليفة النَّاصر لدين الله، وقرضه الشعر، وتأليفه كتاب "روح العارفين" وتشجيعه الحركة الأدبية، وإجزاله العطايا، للعلماء والأدباء، على وفود الأدباء والشعراء

والعلماء إلى بلاطه من كل حدب وصوب، وكان أكثرهم يجمع بين الشاعرية والمناصب الرفيعة في الدولة.

- حفلت مجالس الخليفة الناصر لدين الله الأدبية بكثير من الأدباء والشعراء والندماء، وشارك الخليفة فيها مشاركة فاعلة.
- عند المقارنة بين صورة الخليفة النَّاصر لدين الله بين الشعر والترجمات النثرية يظهر التشابه الكبير والتلاحم بين الصورتين. ويظهر محبّة الشعراء والأدباء له، واجتماعهم على نفس الصفات الرائعة التي تمتع بها خليفة المسلمين النَّاصر لدين الله العباسيّ.

التوصيات:

أما التوصيات فتوصي الباحثة بضرورة حثِّ طلبة الدراسات العليا وتوجيههم إلى تتبع صورة كل خليفة أو سلطان من سلاطين الدولة العباسيّة، مِمّا قد يغير من صورتهم سلبًا أو إيجابًا، لما في ذلك من إثراء للمكتبة العربية الإسلامية وإجلاء لصورة الأدب والحضارة العربية الإسلاميّة في هذه الحقبة.

فهرس المَصَادِرِ والمَرَاجِع.

القرآن الكريم.

أولًا: المصادر

1. ابن الأثير، علي بن محمّد (ت630هـ): الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ / 1997م.
2. ابن الأثير، المبارك بن محمد بن محمد (ت606 هـ)، البديع في علم العربية، تحقيق: فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420 هـ.
3. ابن تغري بردي، يوسف بن تغري بردي (ت874هـ)،

أ–المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق: دكتور محمد محمّد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ت).

ب–مورد اللطافة في مَن ولي السلطنة والخلافة، نبيل محمد عبد العزيز أحمد، دار الكتب المصرية، القاهرة، (د. ت).

ج– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، (د. ت).

4. الحيص بيص، سعد بن محمد(ت574هـ): الديوان، تحقيق: مكي السيد جاسم؛ شاكر هادي شكر، مكتبة الدكتور مروان عطيّة، العراق، (د، ت).
5. ابن جبير، محمد بن أحمد (ت614هـ): رحلة ابن جبير، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (د. ت).
6. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي (ت597هـ):

أ– تلقيح مفهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1997م.

ب- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا؛ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1412 هـ - 1992م.

7. الحموي، محمد بن علي: تلخيص الكشف والبيان في حوادث الزمان، المعروف ب التاريخ المنصوري، تحقيق: دكتور أبو العبد دودو، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، (د. ت).

8. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت 808هـ): ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ - 1988 م.

9. ابن خلكان، أحمد بن محمد (681هـ): وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1994م.

10. ابن الدبيثي، محمد بن سعيد (ت637هـ): المختصر المحتاج إليه، تحقيق مصطفى جواد، مطبعة المعارف، بغداد، 1951م.

11. الدمشقي، محمد بن عبد الله (842هـ): توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1993م.

12. الدَّمِيري، محمد بن موسى (ت 808هـ): حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1424هـ.

13. ابن الدَّوَاداري، أبو بكر بن عبد الله: كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: د سعيد عبد الفتاح عاشور؛ عيسى البابي الحلبي، 1391 هـ - 1972 م.

14. الديار بَكْري، حسين بن محمد (ت966هـ): تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر، بيروت، (د. ت).

15. أَبو ذَرّ، أحمد بن إبراهيم (ت 884هـ): كنوز الذهب في تاريخ حلب، دار القلم، حلب، ط1، 1417 هـ.

16. الذَّهَبي، محمد بن أحمد (ت 748هـ):

أ-سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ / 1985 م.

ب–تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1413 هـ – 1993 م.

ج–العبر في خبر من غبر، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

17. الزُّبَيدِيّ، محمد بن الحسن، (ت 379هـ): طبقات النحويين واللغويين، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، (د. ت).

18. الزُبَيدِيّ، محمّد بن محمّد (ت 1205هـ): تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، المكتبة الشاملة، https://shamela.ws/book/7030 .

19. الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد (ت 1396هـ): الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، 2002 م.

20. الزمخشري، محمود بن عمرو (ت 538هـ): أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419 هـ – 1998 م.

21. ابن السَّاعي، علي بن أنجب (المتوفى: 674هـ):

أ–الدر الثمين في أسماء المصنفين، تحقيق: أحمد شوقي بنبين؛ محمد سعيد حنشي، دار الغرب الاسلامي، تونس، ط1، 1430 هـ – 2009م.

ب–الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تحقيق: مصطفى جواد؛ أنستاس ماري الكرملي، المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، 1353هـ–1934م.

22. سبط ابن التعاويذي، محمد بن عبيد الله (583هـ): الديوان، تحقيق: (م.س مرجليوث)، مطبعة المقتطف، مصر، 1903م.

23. سبط ابن الجوزي، يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله (ت654هـ): مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق: محمد بركات؛ وزملائه دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا، ط1، 1434 هـ – 2013 م.

24. السهمودي، علي بن عبد الله (ت 911هـ): وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419م.

25. السُّيُوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ): تاريخ الخلفاء، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1، 1425هـ-2004م.
26. أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل (ت 665هـ): الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1418هـ/ 1997م.
27. ابن الشَّعَّار، المبارك بن الشعار (ت 654هـ): قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، المشهور بـ «عقود الجمان في شعراء هذا الزمان»، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
28. الصاغاني، الحسن بن محمد (ت 650هـ): التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، راجعه عبد الحميد حسن، مطبعة دار الكتب، القاهرة، 1970 م.
29. الصفدي، خليل بن أيبك بن عبد الله (ت 764هـ): الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط؛ وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 1420هـ- 2000م.
30. ابن الضِّيَاء، محمد بن أحمد (ت 854هـ): تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تحقيق: علاء إبراهيم؛ أيمن نصر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1424هـ - 2004م.
31. الطرسوسي، إبراهيم بن علي (ت 758هـ): تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط2، (د. ت).
32. ابن الطقطقي، محمد بن علي (ت 709هـ): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت، ط1، 1418 هـ - 1997م.
33. العَسْقلاني، أحمد بن علي (ت 852هـ): تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، تحقيق: محمد علي النجار، مراجعة: علي محمد البجاوي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت).
34. العُلَيمي، عبد الرحمن بن محمّد (ت 928هـ): الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس عبد المجيد نباتة، مكتبة دنديس، عمان، (د.ت).

35. ابن العِماد، عبد الحي بن أحمد (ت 1089هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1406 هـ - 1986 م.

36. العماد الكاتب، محمد بن محمد (ت 597هـ):

أ-البرق الشامي، تحقيق رمضان ششن، إسطنبول، 2004 م.

ب- ديوان عماد الدين الأصبهاني، جمعه وحققه: د. ناظم رشيد، مطبعة جامعة الموصل، 1404هـ-1995م.

ج- الفتح القسي في الفتح القدسي، دار المنار، ط1، 1425 هـ - 2004 م.

37. ابن العمراني، محمد بن علي (ت 580هـ): الإنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1421 هـ - 2001 م.

38. العمري، أحمد بن يحيى (ت 749هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ط1، 1423هـ.

39. الفاسي، محمد بن أحمد (ت 832هـ):

أ-شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ-2000م.

ب- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998 م.

40. أبو الفداء، إسماعيل بن علي (ت 732هـ): المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1، (د. ت).

41. ابن الفوطي، عبد الرزاق بن أحمد (ت 723 هـ): مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: محمد الكاظم، مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط1، 1416 هـ؛ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، المكتبة الشاملة، https://shamela.ws/book/14075 .

42. القُرَشي، عبد القادر بن محمد (ت 775هـ): الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي، المكتبة الشاملة، https://shamela.ws/book/6725 .

43. القرشي، إسماعيل بن عمر (ت 774هـ): البداية والنهاية، دار الفكر، 1407 هـ- 1986 م.

44. القفطي، علي بن يوسف (ت 646هـ): إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1426 هـ - 2005 م.

45. القلقشندي، أحمد بن علي (ت 821هـ):

أ- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

ب- مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط2، 1985م.

46. قَلِيج، مغلطاي بن قليج بن عبد الله (المتوفى: 762هـ): الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا، تحقيق: محمد نظام الدين الفُتَيّح، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416 هـ - 1996 م.

47. ابن الكازروني، علي بن محمد (ت 697هـ): مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس، تحقيق: الدكتور مصطفى جواد، تدقيق: سالم الآلوسي، المؤسسة العامة للصحافة والطباعة، مطبعة الحكومة، بغداد، 1390هـ- 1970م.

48. الكتاني، محمد عَبْد الحَيّ (ت 1382هـ): فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982م.

49. الكتبي، محمد بن شاكر (ت 764هـ): فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1973م.

50. بامَخرَمة، الطيب بن عبد الله (ت 947هـ): قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر، تحقيق: بو جمعة مكري؛ خالد زواري، دار المنهاج، جدة، ط1، 1428 هـ -2008م.

51. مقديش، محمود بن سعيد: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تحقيق: علي الزواري، محمد محفوظ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.

52. المَقْرِيزي، أحمد بن علي (ت 845هـ):

أ-السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط1، 1418هـ - 1997م.

ب- المقفى الكبير، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1427 هـ - 2006 م.

53. ابن المستوفي، المبارك بن أحمد (ت 637هـ): تاريخ إربل، تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، العراق، 1980م.
54. ابن معصوم، علي بن أحمد (ت 1119هـ): أنوار الربيع في أنواع البديع، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع]، المكتبة الشاملة، https://shamela.ws/book/5446 .
55. ابن المعمار، محمد بن أبي المكارم (ت 642هـ): الفتوة، تحقيق: الدكتور: مصطفى جواد وآخرين، مطبعة شفيق، بغداد، ط1، 1958م.
56. ابن المُلَقِّن، عمر بن علي (ت 804 هـ): العقد المذهب في طبقات حملة المذهب، تحقيق: أيمن نصر الأزهري سيد مهني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417 هـ - 1997 م.
57. المَلِك المَنْصُور، محمد بن عمر (ت 617هـ): مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: الدكتور حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، (د. ت).
58. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت 711هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414 هـ.
59. ابن النبيه، علي بن محمد (ت 619هـ): الديوان، تحقيق: عمر محمد الأسعد، دار الفكر، مصر، ط1، 1969م.
60. ابن النجار، محمد بن محمود (ت 643هـ): ذيل تاريخ بغداد (التاريخ المجدد لمدينة السلام)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417 هـ.
61. النسوي، محمد بن أحمد (ت 639هـ): سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، مطبعة الاعتماد، دار الفكر العربي، مصر، 1953م.
62. النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت 927هـ): الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 1410هـ - 1990م.
63. ابن نُقْطَة، محمد بن عبد الغني (ت 629هـ): إكمال الإكمال، تحقيق د. عبد القيوم عبد ريب النبي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1410هـ.
64. النويري، أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط1، 1423 هـ.

65. النيسابوري، محمود بن أبى الحسن (ت 550هـ): إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1415 هـ.

66. الهَرَوي، علي بن أبي بكر (ت 611هـ): الإشارات إلى معرفة الزيارات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1423 هـ.

67. ابن واصِل، محمَّد بن سالم (ت 697هـ): مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جـ 1، جـ 2، جـ 3: الدكتور جمال الدين الشيال، تحقيق: جـ 4، جـ 5: الدكتور حسنين محمد ربيع؛ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1377 هـ - 1957 م.

68. الباباني، إسماعيل بن محمد (ت 1399هـ): هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية اسطنبول 1951م، أعادت طبعه بالأوفست، دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان، (د. ت)، المكتبة الشاملة، https://shamela.ws/book/3003 .

69. اليافعي، عبد الله بن أسعد (ت 768هـ): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417 هـ - 1997 م.

70. ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (المتوفى: 626هـ):

أ- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995 م.

ب- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، المعروف بمعجم الأدباء تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1414 هـ - 1993 م.

71. اليونيني، موسى بن محمد(ت726هـ): ذيل مرآة الزمان، تحقيق: وزارة التحقيقات الحكمية والأمور الثقافية للحكومة الهندية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1413 هـ - 1992 م.

ثانيًا: المراجع

1. إبراهيم، رجب عبد الجواد: المعجم العربي لأسماء الملابس «في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث»، تقديم: محمود فهمي حجازي، راجع المادة المغربية: عبد الهادي التازي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط1، 1423 هـ - 2002م.
2. الويس، كامل طه: لعبة رمي البندق في العصر العباسي، مجلة التربية الرياضية، مج11، ع3، جامعة بغداد، العراق، 2002.
3. جواد، مصطفى: سيدات البلاط العباسي، دار الكشاف، بيروت، 1950م.
4. الحربي، بدر بن ذعار: صاحب المخزن خلال العصر العباسي (472-656هـ): دراسة تاريخية حضارية، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، مج 16، ع 32-33، (31 يوليو/تموز 2016).
5. الراوي، طه: بغداد مدينة السلام، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2015م.
6. الزبيدي، وليد بن أحمد الحسين الزبيري، وزملائه: الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، مجلة الحكمة، مانشستر، بريطانيا، ط1، 1424 هـ - 2003 م.
7. السرجاني، راغب: التتار من البداية إلى عين جالوت، (د. ت)، المكتبة الشاملة.
8. الشيخ السقاف، عَلوي بن عبد القادر: الموسوعة التاريخية، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net، https://shamela.ws/book/95543 ، المكتبة الشاملة، تم تحميله في/ ربيع الأول 1433هـ.
9. السوداني، صادق حسن، العلاقات الخارجية للخلافة العباسية في عهد الخليفة الناصر، مجلة المورد العراقية، مج 2، ع 4، 1393 هـ- 1973م.
10. صالح، محمد: عودة الروح للخلافة الإسلامية، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1424هـ.
11. ضيف، شوقي: تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، دار المعارف، مصر، ط1، 1960 - 1995 م.
12. طقوش، محمد سهيل: تاريخ الدولة العباسية 132-656هـ، دار النفائس، ط7، 1430 - 2009م.

13. العبود، نافع توفيق: الدولة الخوارزمية، نشأتها، علاقتها مع الدول الإسلامية، نُظُمُها العسكرية والإدارية 390 – 628 هـ / 1097 – 1231 م، مطبعة الجامعة، بغداد، 1978م.

14. العجمي، عبد الله معيض مُحَمَّد: الخليفة العباسي الناصر لدين الله وسياسته من خلال المصادر التَّاريخية والدراسات الحديثة (575–622هـ/1180–1225م)، إشراف: مُحَمَّد صيَّاح العيسى، رسالة ماجستير في التاريخ، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ في جامعة آل البيت، السعوديّة، عام 2017م.

15. العسيري، أحمد معمور: موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 1417 هـ – 1996 م.

16. عمر، أحمد مختار عبد الحميد (المتوفى: 1424هـ): معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ – 2008 م.

17. العودة، سليمان بن حمد بن عبد الله: كيف دخل التتر بلاد المسلمين، دار طيبة، ط3، 1422هـ–2001م.

18. القدحات، محمد عبد الله:

أ–الخليفة النَّاصر لدين الله العباسي (575–622هـا 1179–1225م) وجهوده في توحيد الجبهة الداخلية، مجلة الدراسات التاريخية، مج 23، ع 2، 2023م.

ب_ الوظائف العليا في عهد الخليفة العباسي الناصر لدين الله 575 – 622 هـ / 1179 – 1225 م: دراسة في آليات الاختيار وترتيبات التولية، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، مج31، ع2، السعودية، 2019م.

19. مجموعة من المؤلفين: الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، نقلا عن: موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، نقلها وأعدها للمكتبة الشاملة/ أبو سعيد المصري، https://shamela.ws/book/36578 .

20. النجار، محمد رجب: حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي، عالم المعرفة، الكويت، 1981م.

21. نغش، محمد: الرسائل الحربية في عصر الدولة الأيوبية، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع 58، (د. ت)، المكتبة الشاملة، https://shamela.ws/book/22991 .

22. النقيب، أحلام حسن مصطفى: الخلافة العباسية عصر الخليفة الناصر لدين الله دراسة في سياسته الداخلية والخارجية، ألفا للوثائق، الجزائر، ط1، 2019م.

الفهارس الفنّيّة

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس الأشعار.

3- فهرس الأعلام والأماكن.

فهرس الآيات القرآنية

السّورة	الآية	الصّفحة
الإسراء، 24	{وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}	
النمل، 19	{رَبِّ أَوزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ}	ب
لقمان، 12	{وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ}	ب
النساء، 59	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا}	71
النساء، 58	{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَينَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}	73
النحل، 90	{إِنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدلِ وَالإِحسَانِ}	86

فهرس الأشعار

القافية	الوزن	عدد الأبيات	الصّفحة	القائل
وَإلى مَتى تَجني عليَّ وتَعتَّبُ	الكامل	4	27	سِبطُ ابن التَّعاوِيذي
خليفة أحمد كأبي التراب	الوافر	2	85	هِبَةُ الله بن الشِّيرازي
وَلا سَطَت في مَعرك قَواضِبي	الرجز	8	14	الناصر لدين الله
كَم بِذي الدَوح أَثِلة مِن قَضيب.	المديد	1	18	النَّاصر لِدين الله
وصِيتُهُ في جميع الأرض جوّابُ	البسيط	10	85	عِمادُ الدِين الكَاتِب
ظل الإمام تحوزوا غاية الطلب	البسيط	9	90	مُحَمَّد بن مِسكِين
لإمامِ العَصرِ مَدحتُهُ	المديد	7	87	محيي الدين ابن الجوزي
فَتَيَقَّن أن لَستُ بِاليَاقوت	الخفيف	2	18	شاعر مجهول
وَكانَ الفخارُ لِلعَنكَبوت	الخفيف	2	19	النَّاصِر لِدين الله
معنى الرشيد وصورة المسترشد	الكامل	2	77	الشريف أبو عَليّ المُظَّفَر المُوصلِي
فرقى أبو العبَّاس فيه وشيّدا	الكامل	5	76	أبو الفضل الوائليُّ الهيتيُّ
حُجُوا إلى تلكَ المناسكِ واسجُدوا	الكامل	3	79	ابن النَبيه المَصري

وَيردّ بالنَكَباتِ شارِدَةَ الرَّدى	الكامل	3	13	شَرَف الدّين الحلّي
وأحيا رميم المكرمات برفده	الطويل	2	91	أبو نصر الدجاجي
وللجلالةِ والإحسانِ ظاهِرُهُ	البسيط	2	92	ابن النبيه المصري
فقد تزَنَّمَ فوقَ الأيكِ طائِرُهُ	البسيط	12	74	ابن النبيه المصري
كلاهُما يَغمُرُ السؤالَ زاخرُهُ	البسيط	3	88	ابن النبيه المصري
والناصر ابن رسول الله ناصره	البسيط	3	92	ابن النبيه المصري
بِمالٍ من فِضَةٍ أو نُضارِ	الخفيف	3	8	الحِيص بِيص
بالوِدِ يُخبِرُ أنَ أصلَكَ طاهِر	الكامل	3	39	النَّاصر لدين الله
وَعَدوا وأطيبُهُم ذِكرَا إذا ذُكِروا	الكامل	3	76/7	ابن النَطروني
كانَ فيهم مُقسَّمًا منثورًا	الخفيف	5	79	ابن النَبيه المِصْرِيّ
كقضيبِ الأراكَةِ المَيّاسِ	الخفيف	5	10	سبط ابن التعاويذي
شعارا على بني العَبَّاس	الخفيف	7	78/10	سبط ابن التعاويذي
نداه وقَاتل الإفلاس	الخفيف	2	84	سبط ابن التعاويذي
وأنشرتها من الأرماس	الخفيف	2	88	سبط ابن التعاويذي
نبوي الأعراق والأغراس	الخفيف	6	93/89	سبط ابن التعاويذي
بالي رسومه الأدراس	الخفيف	4	92	سبط ابن التعاويذي
دنيا وأمر مضطلع	السريع	3	81	سبط ابن التعاويذي

على أهلها منه الجلال لَمُشرِقُ	الكامل	10	82	عَبد الواحِد السِيسَنيّ
لِصوبِ نَدى كفيكَ تحيي وترزقُ	الكامل	4	91	عبد الواحد السيسني
من جود أحمد، ملكٌ دونه زحل	البسيط	2	93	أبو طَالِب الشَّيباني
فكم عُقدة بالتُقى حَلها	المتقارب	9	83	أبو نَصرِ الدَّجاجِي
يبغي رضاه بحلمٍ زِانهُ عَمَلُ	البسيط	7	92	أبو محمد البغدادي
عُثمانَ قَد غَصَبا بالسيفِ حَقَّ عَلي	البسيط	2	31	المَلِكُ الأَفْضَل
لَم أعصِ فيكَ وقد أَلَّحَ اللّائِمُ	الكامل	3	93	الحسن بن علي، ابن الأقساسي
ومكلَّفًا شكرًا لدى الإحسان	الكامل	8	80	يحيى بن محرز
صَدَقُوا كُلُهم لَديّ عَليّ	الخفيف	3	15	الناصر لدين الله

فهرس الأعلام والأماكن

اسم العلم	الصفحة
الأَتابِكة	22
أَتابِك	22
ابن الأَقسَاسِي	93/55
الأَيوبِيّين	25
ابن أبي أصبَعَيّة	58/11
ابن البَقال	51
أبو بَكر التَبريزيّ	52
بَنَفَشا	9
البُونِيني، موسى بن مُحَمَّد	99
آل بويه	14
البَهلَوان	10
سِبطُ ابن التَّعاويذي	82/55/10
التَّتار	37
تِستَر	24
تِكرِيت	23
تَكِش أَتْسِز	32
جَلال الدِّين السِيوطِي	98

جَلال الدّين مَنكَبَرتِي	35
ابن جُبَير	102
جَعفَر بن مَكِي	57
سِبطُ ابن الجَّوزِي	87/50
حديثة المُوصِل	23
حَديثَة النُّورَه	33
ابن حَديدَة	48
أبو الحَسَن البَطائِحِي	16
أبو الحُسَين اليُوسُفِي	16
الحِيص بِيص	8
الخَلاطِيّة	12
الخُطا	34
الخَوارِزميّين	32
ابن أبي الخَير المَسيحِي	58
دَاقُوقا	23
ابن الدّبيثِي	102/100
ابن دِحيّة	99
ابن أبي الدَّم الحَمَوي	54
رِزقُ الله القَزوينِي	52
أبو رَشِيد الحَاسِب	11

الرَّضِي الجِيلِي	53
الرَّي	21
أبو زَكَرِيا، يَحْيَى بن مِحْرِز	80
زُمُرُد خَاتُون	8
زِنْجَان	24
ابن السَاعِي	96
سَاوَه	65
سَحبَان وائِل	81
أبو السَّعادات	48
أبو سَعيد طاشتكِين	47
سَلجُوقِي خَاتُون	12
السَّلاجِقَة	20
سُهرَوَرد	53
سَيف الدِّين، أبو النَجِيب	55
شَرَف الدِّين الإِرْبِلِي	52
شَرَفُ الدِّين الحِلِّي	13
شِهاب الدِّين بَشِير	26
شِهاب الدِّين الزَّنْجاني	54
شهاب الدين السُّهْرَوَرْدي	53/17
الشَّهرَزُوري	47/9

الصَّاغانِي	63/54
ابن صَابِر المَنْجَنِيقِي	57
صَدر الدِّين الخَجَنْدِي	33
أبو طالِب الشَّيبانيّ	93
أبو طالِب الكَرْخِي	50
طِغْرِل السلْجُوقِي	21
دولة عَانَة	23
أبو العَبَاس لبَنْدَنِيجِيُّ	52
عَبْد الله بن الحُسَين	48
أبو عَبْد الله الجِيلِي	51
أبو عَبْد الله النُوقانِي	51
عبد القادر القُرَشي	98
عَبْد اللَّطِيف بن يُوسُف البَغْدادِي	101/58
عَبْد الواحِد السِيسَنِي	82/56
عِزّ الدَّين، أبو غالِب	55
عِزّ الدَّين أبو الفَضائِل	56
ابن العَطّار	9
عَلاء الدَّين خَوارِزمْ شَاه	34
عَليّ بن أَحْمَد الدامْغانِي	46
عَلِيّ بن رَشِيد	47

عَليّ، أبو الحَسَن	13
عَليّ بن سَعادَة الفَارِقِي	51
أبو عَليّ المُظَّفَر	77
أبو عَلِيّ الواسِطِي	55/11
عِماد الدّين الكَاتِب	85
ابن العِماد الحَنْبَلِي	102
دولة الغُور	20
ابن فَضْلان	49
ابن فَضْلِ الله العُمَرِي	97
أبو الفَضِل التْركستاني	52
أبو الفَضِل الوائِلِي	76
أبو الفِداء، إسماعِيل بن عَليّ	99
القَاسِم الواسِطِي	52
القاضِـي الأَشْرَف	49
القاضِـي الفاضِل	100/97
القَلْقَشَنْدِيّ، أَحمَد بن عَلِيّ	103
قَلِيج أَرْسَلان بن مَسْعُود	12
ابن قِيمَاز الذَّهَبِي	100/99
كَمال الدّين، أبو القاسِم	53
لُقمَان	81

المُبارَك بن أَنوشْتِكِين	47
المَرزُبانِيّة	63
المُستَرشِد بِالله	77
المُستَضِئ بِالله	8
المُستَنْجِد بِالله	77
أبو مُحَمَّد البَغدادِيُّ	84/57
مُحَمَّد الظَّاهِر بِأمرِ الله	12
مُحَمَّد بن مِسْكِين	90
أبو المُظَّفَر البَغدادِيّ	49
المَقرِيزِي	97
المَلِكُ الظَّاهِر	17
أبو مُحَمَّد الواعِظ	52
أبو مَنصُور	9
مُؤيدُ الدِّين ابن القَصابْ	32
مُؤيدُ الدِّين القَمِي	49/25
مَيسَان	24
ابن النَّبِيه المَصْرِي	56
النَّاصِر لِدين الله	7
ابن النَّجَار	101
أبو نَصِر الدَّجاجِي	55

نَجاحُ الشَرابِي	70
أبو النَّجِيب السُّهْرَوَرْدي	50
ابن النَطْرُونِي	76/7
هِبَةُ الله بن مُحَمَّد	46
هِبَة الله بن الشِّيرازِي	85
هِيت	33
ابن واصِل	98
ابن يُونس	47
أبو يعقوب الشِيرازِي	12

فهرس الموضوعات

المحتويات	الصفحة
إقرار	أ
الشُّكرُ وَالتَّقدِير	ب
المُلخَّصُ	ت
Abstract	ث
المُقَدِمَة	1
الفَصلُ الأَوَّل: سيرةُ الخليفة النَّاصر لدِينِ الله العَبَّاسيّ.	6
المبحثُ الأوَّل: اسمُه ونسبه ومولده.	6
المبحثُ الثَّانِي: نَشأَتُه وَوِلايتهُ لِلعَهد.	9
المبحثُ الثَّالِث: مذهبه وعقيدته.	14
المبحثُ الرَّابِع: ثقافته.	16
المبحثُ الخامِس: علاقاتُه مع الملوك والأمراء المُسْلمين.	20
المبحثُ السَّادس: علاقاتُه مع المُلُوكِ والأمراء غير المُسْلمين.	37
المبحثُ السّابع: آثاره العلميّة	38
المبحثُ الثّامن: مرضه ووفاتُه.	40
الفَصْلُ الثَّاني: عَوامِلُ ازدِهَارِ الحَيَاةِ الفِكريّة والأدبِيّة في عَهْدِ الخَليفة النَّاصر لدِين الله العَبَّاسِيّ.	43

المبحثُ الأَوَّل: دَورُ مؤسَّسة الخِلافَة.	43
المبحثُ الثَّانِي: مَوقِفُ الخليفةِ النَّاصِر لدِينِ الله من أهل العِلْمِ والأَدَب.	45
المبحثُ الثَّالث: أَعْمَالُ الخَليفة النَّاصِر لدِينِ الله العِمْرانيّة.	59
المبحثُ الرَّابع: إحياءُ الفُتُوَّة.	67
المبحثُ الخَامِس: مَجالِسُ العِلمِ وَالأَدَبِ.	70
الفَصْلُ الثَّالث: صُورةُ الخَليفةِ النَّاصِر لدين الله في الأدب.	73
المبحثُ الأَوَّل: صُورةُ الخَليفة في الشِّعْر.	73
المبحثُ الثَّاني: صُورةُ الخَليفة في النَّثر.	95
المبحثُ الثَّالث: مُقارَنَةُ الصُّورتَين.	105
الخَاتِمَة	106
التوصيات	107
قائِمَةٌ المَصادِرِ وَالمَراجِع	108
الفهارس الفنية	119